

رحلة إلى المرتفعات

الكتاب			
٣١	٨- <u>جبل التحريج</u>	٤	١- <u>دعوة إلى المرتفعات</u>
٣٧	٩- <u>في غابة الخطر والرعب</u>	١٠	٢- <u>هجوم من عائلة الخوف</u>
٤١	١٠- <u>في الضباب</u>	١٣	٣- <u>هروب أثناء الليل</u>
٤٥	١١- <u>وادي الخسارة</u>	١٥	٤- <u>بداية الرحلة</u>
٤٩	١٢- <u>التجلى</u>	١٩	٥- <u>المقابلة مع كبرياء</u>
٥٢	١٣- <u>أرض المرّيا</u>	٢١	٦- <u>جولة في صحراء مصر</u>
٥٥	١٤- <u>قبر على جبل</u>	٢٦	٧- <u>على شاطئ الوحدة</u>
٥٩ <u>اخيراً على المرتفعات</u>			

رحلة إلى المرتفعات

قصة رمزية مأخوذة من
وقائع حقيقية عن الرحلة
التي يجب ان تقوم بها كل
نفس لتصل إلى المرتفعات
والأسماء رمزية وتنم عن
حقيقة الشخصية.

كنيسة مارجرجس باسبورتنج

ففي الليل يبجل البكاء

ص ٣٠ : ٥

١

دعوة إلى المرتفعات

"إله آباءنا انتخبك لتعلم مشيئته وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه"

أع ٢٢ : ١٤

[الفهرس](#)

هذه قصة "خوافة" وكيف هربت من أقاربها "عائلة الخوف" وذهبت مع رئيس الرعاة حيث "المحبة الكاملة تطرح الخوف خارجاً"^١

لسنين طويلة كانت خوافة تخدم رئيس الرعاة الذى كان له قطيع كبير يرعى في "وادي المذلة" حيث كانت تعيش في كوخ أبيض صغير وهادئ في "قرية الاضطراب".

كانت تحب عملها وتشتهي أن ترضى رئيس الرعاة ولكن على قدر سعادتها كانت تشعر بإعاقتين تمنعها من إتمام عملها على الوجه الأكمل مما أدى إلى شعورها الخفى بالألم والحجل.

أول إعاقة كانت قدمها العرجاوتان... فكثيراً ما كانت تسقط على الأرض أثناء تأدية عملها، أما الإعاقة الثانية فكانت في فمها الذى كان من قبح منظره يتلجلج ويتعثر في النطق والكلام.

وكانت هاتان الإعاقتان تثيران دهشة كل من عرف أنها في خدمة رئيس الرعاة... ولذا كانت تتوق إلى التخلص منهما وتصبح جميلة ولبقة وقوية مثل كثير من خدام رئيس الرعاة ولكنها كانت تخاف لأنها كانت تظن أنه لا نجاة من هاتين الإعاقتين.

وكانت هناك بالإضافة إلى ذلك مشكلة أكبر وهى أنها من "عائلة الخوف" وكان أقاربها منتشرين في كل أنحاء الوادي فلا أمل من التوصل منهم. فكيتيمة كانت قد تربت في بيت عمتها "مدام متشائمة" وبنات عمها "كثيبة" و "متذمرة" وأخيهم "جبان" الذى كان دائماً يضايقها ويضطهدها.

ومثل باقى العائلات التى كانت تعيش في "وادي المذلة" كانت "عائلة الخوف" تكره رئيس الرعاة وتضايق خدماته فما بالك بالعار الذى لحق بهم بانضمام إحدى أفراد أسرهم إلى خدامه وعليها تحايلا ما استطاعوا بالتهديد مرة وبالترغيب أخرى محاولين إرجاعها عن رأيها وهى صامتة ليس لها حيلة إلا البكاء. وفي يوم مشنوم وضعوها أمام قرار العائلة الذى لا مفر منه وهو أن تتزوج ابن عمتها جبان وتستقر وسط أهلها وإلا...!!!

وبالطبع خافت المسكينة خوافة لمجرد الفكرة ولرعبها الشديد لم تستطع الهروب منهم بل جلست منطوية على نفسها تكرر بأفمها لن تتزوج جبان.

وصباح اليوم التالى عندما أرسلت الشمس أشعتها الذهبية على الكون وقت الشروق تذكرت خوافة أن رئيس الرعاة سيكون بجانب غدير المياه خارج القرية ليسقى أغنامه. فقد كانت عادة خوافة أن تذهب هناك باكراً كل صباح لتتعرف على رغباته وتتلقى أوامره لذلك اليوم وتعود وقت الغروب لتخبره بكل ما حدث لها أثناء النهار. لذا أسرعت

^١ ١٨ : ٤

خوافة لتقبله عن غدير "المناجاة" وكلها ثقة بأنه لن يتركها فريسة لأقاربها بل سيجد لها منفذ. وعندما وصلت وجدت رئيس الرعاة في انتظارها.

- ماذا أفعل ياسيدي؟ كيف أهرب؟ إذا تزوجت جبان فسأظل أسيرة إلى الأبد. قالت خوافة هذا وهي تبكى وبعدها أنهت سرد ما حدث لها طيلة هذا اليوم.

- "لا تخافي" قال لها رئيس الرعاة: "أنت في خدمتي وإذا وثقت بي فلن يستطيعوا أن يرغموك على الزواج أبداً. ولكن لا تدعى أحد من أقاربك "عائلة الخوف" يَدْخُل إلى كوخك لأنهم أعداء الملك الذى صرت أنت خادمة له".

- خوافة: "أعرف ذلك جيداً ولكن كلما قابلت أحداً من أقاربي تخور قواى ولا أستطيع مقاومته. إنهم منتشرون في كل مكان في الوادى فلا يوجد مفر من مقابلتهم فيبدو أنى لن أستطيع الخروج بمفردي".

قالت خوافة هذا ورفعت عينيها إلى الجبال التى كانت تحيط بالوادى وأكملت: "لو أنى أقدر على الهروب من الوادى وأذهب إلى المرتفعات؟!".

وحالما نطقت خوافة بهذا قال لها رئيس الرعاة:

- "لقد انتظرت طويلاً لأسمع منك هذا... سيكون فعلاً أفضل شئ أن تتركى الوادى وتذهبي إلى المرتفعات وسأقودك إلى هناك بنفسى، إن هذه المرتفعات هى حدود مملكة أبى... مملكة الحب... حيث لا يوجد خوف من أى نوع... حيث المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى الخارج".

نظرت إليه خوافة فى دهشة "أذهب إلى المرتفعات؟! وأعيش هناك؟ ياليتنى أقدر!! طوال الشهور الماضية وأنا أحلم بهذا ولكنه غير ممكن... أنا عرجاء!!".

أحنت خوافة رأسها إلى أسفل ونظرت إلى قدميها فامتألت عيناها بالدموع ونفسها بالحزن وأكملت: "هذه الجبال عالية وخطرة لدرجة أنه قيل لى أن الغزال والإيل فقط تستطيع الصعود عليها".

- رئيس الرعاة: "هذا صحيح... الطريق إلى المرتفعات صعب وخطير... لا بد أن يكون هكذا حتى لا يستطيع أعداء المحبة أن يتسلقوا ويدخلوا المملكة!!... لأنه لا يوجد شئ به عيب أو نقص يستطيع أن يدخل مملكة المحبة ولكن ياخوافة إننى أستطيع أن أجعل رجلك كالأيل وأقيمك على المرتفعات. هناك تكونين معى دائماً وبعيدة عن يد أعدائك... وكم أنا سعيد أن أعرف أنك تتوقين إلى الذهاب هناك".

- خوافة: "تجعل قدمي كالأيل؟ كيف؟ وماذا عن فمي؟ أنت تقول لا شئ به عيب يستطيع أن يدخل مملكة المحبة".

- رئيس الرعاة: "لابد أن تتغيرى قبل الوصول للمرتفعات ولكن إذا أردت الذهاب معى أعدك بجعل رجلك كالأيل وفمك بلا عيب لأنه حيث توجد ينابيع مياه للشفاء قرب المرتفعات ومن يستحم فيها تزول كل أوجاعه. وكما يجب جعل رجلك كالأيل يجب أيضاً ان يتغير اسمك لأنه من المستحيل لخوافة من عائلة الخوف أن تدخل إلى مملكة الحب... هل أنت على استعداد لهذا التغيير الشامل يا خوافة؟"
- أحاب خوافة بأمل: "نعم أنا مستعدة".
- ابتسم رئيس الرعاة وقال بجدية: "هناك شئ آخر ولكنه أهمهم... يجب قبل أن تدخل إلى مملكة المحبة أن تكون وردة المحبة مزهرة فى قلبك... هل فى قلبك غرس الحب ياخوافة؟". عندما قال رئيس الرعاة هذا تثبت نظره عليها كمن يفحصها وأدركت خوافة أنه يبحث فى قلبها عن غرس الحب. لم تعرف خوافة بماذا تجيب... فرأت وكأن كيانها مكشوف أمام عينيه وبعد مدة قالت "يبدو لى أن هناك حب بشرى ولكنه ليس كالحب الذى أراه فىك".
- رئيس الرعاة: "إذن هل تدعينى أغرس فيه بذرة الحب الآن لتكون مستعدة للإزهار وقت وصولك للمرتفعات؟" تراجعت خوافة مرتعدة: أنا خائفة... لقد قيل لى أنك إذا أحببت شخص ما فإنك تعطيه مع الحب القدرة أن يجرحك ويؤلمك".
- أحاب "هذا صحيح فالحب معناه أن تضع نفسك فى سلطان من تُحب للنهاية... وأنت خائفة من ألم المحبة أليس كذلك؟".
- "نعم" وأحنت خوافة رأسها فى خجل.
- أحاب "ولكن فى الحب سعادة، سعادة فى أن تُحب بلا غرض ودون مقابل".
- "كم هو صبور على؟" هكذا فكرت خوافة نفسها ثم قالت بصوت عالٍ وبسرعة كمن هى خجلانة مما تقول: "لكننى لن أستطيع أن أحب إلا إذا تأكدت بأن محبتي ستقابل بالمثل. فهل إذا زرعت بذرة الحب فى قلبى تعدنى بأنى سأحب كما أحببت؟ لأنى لن أطيق غير ذلك!!".
- ابتسم رئيس الرعاة إبتسامة مملوءة رقة وعذوبة وقال: "نعم أعدك ياخوافة أنه عندما يحين وقت إزهار الغرس وتغيير اسمك سَتُحِبين فى مقابل محبتك".
- خوافة "إذن من فضلك ازرع بذرة الحب فى قلبى الآن".
- أخرج الراعى شيئاً من جعبته ووضعها فى راحة يده ثم مدها إلى خوافة: "هذه هى بذرة الحب".

دنت خوافة لتنظر لكنها صرخت وتراجعت. لقد كانت هناك فعلاً بذرة ولكن على شكل شوكة طويلة وحادة. كانت خوافة تلاحظ من قبل أن يد الراعى بما جراح فلاحظت الآن أن الجرح الذى فى رسغ يده على نفس شكل الشوكة.

- "هذه البذرة... ألن تؤلمنى عندما تزرعها فى قلبى؟"

- أجاب برقة: "إنها حادة جداً لذا ستدخل بسرعة. ولكن ألم أقل لك أن الحب والألم متلازمين. إذا أردت الحب فلا بد أن تذوقى الألم!!".

تقدمت خوافة فجأة وكشفت قلبها وقالت: "من فضلك ازرع البذرة هنا". أضاء وجه رئيس الرعاة بالسعادة وقال بنبرة فرحة: "الآن أنت قادرة على الذهاب معى إلى المرتفعات لتصيرى مواطنة فى مملكة الحب" قال هذا وغرس الشوكة فى قلبها. وصدق قوله إذ بعد الألم شعرت بعذوبة وحلاوة ملأت كل كيانها.

- "شكراً لك... شكراً لك" وسجدت عند قدميه "كم أنت حلو... كم أنت صبور... لا يوجد من هو مثلك فى كل الوجود... سأذهب معك للجبال وكلى ثقة أنك ستجعل رجلى كالإيل وفى بلا عيب وتقيمى... حتى أنا خوافة على المرتفعات".

- رئيس الرعاة: "وأنا أيضاً سعيد بل أكثر سعادة منك. سأخذك إلى سفح الجبال بنفسى حتى لا يكون هناك خطورة من أعدائك ولكن بعد ذلك سأتركك برفقة اثنتين مخصصتين لك يسانندانك ويساعدانك على وعورة الجبال حيث أنك لن ترينى كل الوقت ولكنك متى طلبتيني فستجدينى... أعدك بهذا. وتذكرى أنى اخترت رفيقتيك بدقة شديدة حسبما أرى احتياحك فهل ستقبلينهما بفرح؟".

- خوافة: "نعم نعم فأنا أثق بك تماماً وأعرف أنك تختار ما هو الأنسب لى دائماً... سوف لا أخاف أبداً بعد الآن".

نظر إليها رئيس الرعاة بشفقة لأنه كان يعرف صعوبة الطريق وضيقه وتعبه ولكنه لم يقل لها هذا. بل قال "اذهبي الآن إلى بيتك واستعدى للرحيل... لا تأخذى معك شيئاً... فقط اتركى كل شئ فى مكانه ولا تقولى لأى شخص عن هذه الرحلة لأنها رحلة سرية ويجب أن تكون فى الخفاء. كوني مستعدة حتى حينما تسمعى صوتى يناديك اخرجى من منزلك واتبعينى". وبعدما قال رئيس الرعاة هذا أخذ أغنامه وقادها إلى الحظيرة وأما خوافة فرجعت إلى منزلها والفرح يملأ قلبها.

وفيما هى سائرة فى طريق عودتها وإذ بجبان يعترض طريقها... مسكينة خوافة!! كانت قد نسيت للحظات وجود أقاربها وهى تلتقى بأشرفهم. فرعت خوفاً ونظرت حولها شمالاً ويميناً فلم تجد مكاناً يمكنها أن تهرب إليه فتراجعت فى خوف وكان هذا سبباً فى إعطائه شجاعة أكثر ليستمر فى الجرى خلفها حتى أمسك بها فصرخت وعندئذ

ظهر أمامها رئيس الرعاة وفي يده عصاة ما كاد يرفعها على جبان حتى لاذ بالفرار لا يعرف إلى أين يتجه، فقط يبغى الهرب من رئيس الرعاة. فانفجرت خوافة في البكاء... فقد كان يجب أن تعرف أن جبان اسم على مُسمى وأنه كان يلزم فقط أن تنادى على رئيس الرعاة لتتخلص من قريتها هذا. كان الخجل يغطيها لأنها رجعت إلى طبيعتها القديمة بعدما كانت تظن أنها أوشكت على الخلاص منها.

لم تستطع أن تنظر إلى رئيس الرعاة ولكنها لو فعلت هذا لرأت عينين كلها رأفه ورحمة لأن رئيس الرعاة طويل الروح وكثير الرحمة... لقد ظنت أنه يحتقرها بسبب خوفها فتمتمت: "شكراً لك". وذهبت تعرج نحو قريتها وهي تقول في نفسها "ما فائدة أن أفكر في الذهاب للمرتفعات وأنا لا أستطيع؟! لأن أقل شيء يعترضني كفيل بأن يرجعني مرة ثانية. شعرت خوافة بتحسن عندما وصلت إلى منزلها وأخذت تفكر في أحداث اليوم وتذكرت بذرة الحب المزروعة في قلبها وعندها شعرت بنشوة وسعادة وتأملت في محبته وأخذت تعمل وتنظف الكوخ وهي تنشد "اخبرني يامن تحبه نفسى أين ترعى أين تربض عند الظهيرة"².

ثم نامت نوماً هادئاً.

² نش ١ : ٧

٢

هجوم من عائلة الخوف

"وأما من خاف فلم يتكمل في المحبة"

١ يو ٤ : ١٨

[الفهرس](#)

استيقظت خوافة صباح اليوم التالي وهي تشعر بتحسن وكانت تقول في نفسها: "ربما اليوم أبدأ رحلتي" وكانت متأثرة لدرجة أنها لم تستطع تناول إفطارها بل قامت تستعد للرحلة وهي تشعر بسعادة بالغة ورتلت نشيد تعلمته من الرعاة قائلة: "أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم كخيام قيذار كشقق سليمان لا تنظرن إلى لكوني سوداء لأن الشمس قد لوحتنى"^٣.

وهكذا انقضى الصباح ولكن في الظهيرة حدث شئ فظيع... هجوم على منزلها من أقاربها "عائلة الخوف"... فجأة وجدتم حولها داخل منزلها... كانوا يريدون خطفها لتزوج من "جبان". كان معهم رئيس العائلة وكبيرها السيد المستشار "رعب" شخصياً الذي قال لها مقلداً اللهجة الأبوية الخنونة أنه يفهم أنها تكره جبان ولكنه على استعداد أن يريها خطأها وإن لم تقتنع فلن يفرضه عليها. وهكذا أخذ كل أقاربها يتكلمون دفعة واحدة في محاولة للضغط عليها والمسكينة خوافة تجلس منكمشة تسمع وفرائصها ترتعد فهي لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

بعد وقت قليل سمعت خوافة، صوت رئيس الرعاة في الخارج وأحست وكأن جميع الأصوات الأخرى قد صمتت فلم تعد تسمع سوى صوته قائلاً: "صوت حبيبي هوذا آت ظافراً على الجبال قافزاً على التلال. هوذا واقف وراء حائطنا يوصلنا من الشباييك وقال لي قومي يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى"^٤. وهنا أدركت بأنه يناديها لتخرج معه إلى المرتفعات... هذه هي الإشارة!! ولكنها محبوسة داخل كوخها بسبب عائلة الخوف وغير قادرة حتى على أن تناديه من الرعب. كان يجب أن تنتهز الفرصة لأن في اللحظة التالية وضع جبان يده على فمها ليمنع صدور أى صوت منها وهكذا مر رئيس الرعاة يوصلنا من الشباييك بدون أن يجد رداً من أى نوع.

وبعدما عبر وجد أقارب خوافة أنها قد غابت عن الوعي فوضعوها على سريرها في انتظار الليل حتى يأخذوها معهم ولا يراها أحد. بعد مدة فتحت خوافة عينيها وتكاد تفقد وعيها ثانية عندما أدركت موقفها ولكنها أخيراً استجمعت شجاعتها وذهبت إلى شباك حجرة نومها ونادت على جارها:

- "شُجاعة... شُجاعة تعلى ساعديني بسرعة أرجوك".

جرت مدام شجاعة تجاه منزل خوافة وحاولت فتح الباب فوجدته مغلقاً فذهبت لتتظر من الشباك فوجدت أقارب خوافة يملأون المنزل فصرخت مهددة: "إذهبوا من هنا توأ وإلا سأنادى على رئيس الرعاة" وقعت عليهم كلما وقوع الصاعقة وأخذوا يهربون من المنزل في جميع الاتجاهات. دخلت مدام شجاعة لترى خوافة التي كانت في حالة يرثى لها فربتت على كتفها وقالت سأذهب لأصنع لك كوباً من الشاي الساخن. بعدما شربت خوافة الشاي

³ نش ١: ٥٠، ٦

⁴ نش ٢: ٨ - ١٠

أرادت النوم بعد هذا اليوم العصيب. فأعطتها مدام شجاعة جرس لتدقّه إذا ما احتاجت إليها، وتركتها لتنام وحدها في المنزل.

٣

هروب أثناء الليل

"جاء إلى يسوع ليلاً"

يو ٣ : ٢

[الفهرس](#)

لساعات طويلة تمددت خوافة على سريرها مجروحة الجسد والنفس، في عقلها يوجد شيء ما يقلقها... ترى ما هو؟ وفجأة تنبعت لألم شديد في قلبها لم تختبره من قبل... كانت الشوكة في التي في قلبها ترسل نبضات الألم وأدركت خوافة السبب وأخذت تمس لنفسها: "لقد جاء رئيس الرعاة ليأخذني وأنا لم ألبى نداءه... وربما تركني وذهب لأنه ظن أنني لا أريد الرحيل معه... إنني حتى لم أذهب إلى غدير المناجاة هذا المساء... بالتأكيد لقد تركني ورحل" كانت خوافة حزينة جداً ولكن الألم في قلبها كان يفوق الحزن. نظرت حولها فوجدت كتاب الأناشيد مفتوح على صفحة مكتوب عليها نشيد يحكى عن إنسانه مثلها، أخذت تقرأ فكانت الكلمات وكأنها تعبر عن حالتها هي... "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي فما وجدته - إني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي... طلبته فما وجدته". حالما قرأت خوافة هذا الكلمات ففرت من سريرها ولبست ثيابها وفتحت باب الكوخ وخرجت... ربما تجد هي الأخرى حبيبها... كان قلبها مازال ينبض بالألم فتذكرت قول رئيس الرعاة... "الحب والألم متلازمان" يجب أن تجد رئيس الرعاة ليكف الألم.

أخذت تبحث في شوارع القرية فلم تجده... سألت بعض من خدمه أين هو فلم يعرفوا الإجابة كادت تياس ولكنها تذكرت باقى النشيد "وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه"⁵ وعند هذا أسرعته تجرى نحو غدير المناجاة وهناك كان هو في انتظارها: "أين كنت يا خوافة؟" ارتمت عند قدميه باكياً: "ياسيدى خذني معك سأتبعك حيثما تذهب".

أمسك رئيس الرعاة يدها وقادها نحو الجبال.

⁵ نش ٣ : ١ ، ٢

⁶ نش ٣ : ٤

٤

بداية الرحلة

"إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"

مت ١٦ : ٢٤

[الفهرس](#)

كان صباح يوم جميل ولاح الوادى وكأنه يستيقظ من النوم والطيور تنتقل بين الأغصان مغردة والندى على الزهور يضيء كالماس فوق المساحات الشاسعة من الألوان المختلفة وفي بعض المساحات الشاسعة من الألوان المختلفة وفي بعض الأحيان كان رئيس الرعاة وخوافة يدوسان فوق الزهور أثناء سيرهم وذات مرة إنحنى رئيس الرعاة وأمسك بزهرة وقال لخوافة بابتسامه: "تواضعي وستجدين أن الحب سيكون كبسط من الزهور تحت رجلك".

فنظرت إليه بتساؤل "لقد فكرت مراراً كثيرة في الزهرة البرية... إنه لمن العجب أن تكون كل هذه الزهور في هذا المكان القفر... في مكان لا يشاهدها فيه أحد ل يتمتع بجمالها ومعرضة أن تدوسها أرجل قطعان الماشية في طريقها إلى المراعى". أجاب:

- لا شئ يفعله أبى وأنا ويكون للخسارة أبداً... وهذه الزهور الصغيرة تُعلم درساً جميلاً... إنها تبذل ذاتها برضا وثقة حتى ولو لم يُقدَّر أحد جمالها وكأنها تقول: "السعادة هي أن نحب حتى وإن لم يُرد لنا الحب... أقول لك شيئاً... قليلون يفهمون هذا... أجمل صفات النفس البشرية، أعظم إنتصاراتها، أكبر إنجازاتها لا يعرف أحد عنها شئ كل رد فعل للحب وكل بذل ذات هو زهرة جديدة في غرس الحب. كم من حياة عادية وهادئة... حياة محتفية وغير معروفة للعالم كانت حديقة يانعة يلذ للمالك نفسه أن يتنزه فيها ويفرح مع أصدقائه بها. بالطبع يوجد كثير من خدَمى كانت إنتصاراتهم واضحة للكل وكانت الناس تُقدِّرهم وتُبجِّلهم ولكن حتى هؤلاء كانت لهم انتصارات وأجناد داخلية لا يعلم أحد عنها شيئاً. تعلمى هذا الدرس الآن ياخوافة فسوف يعزيك أثناء رحلتك... هيا لنشارك الآن الطيور تغريدها وننشد سوياً... أنا نرجس شارون سوسنة الأودية.

كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتى بين البنات كالثفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبتى بين البنين.

تحت ظلّه اشتتهيت أن أجلس وثمرته حلوة خلقي^٧

وعندما إنتهيا قالت خوافة "لم أكن أعرف أن سفح الجبل مكان جميل هكذا". أجاب : "كلما نما فيك زرع الحب ستفهمين أشياء كثيرة وتدركين ما لم تحلمى به... ستتعلمين أن تتكلمى بلغة الحب ولكن يجب أولاً أن تتعلمى ألف باء الحب وهذا سيكون أثناء رحلتك، الآن هيا بنا فرفيقتاك تنتظرانك".

- خوافة: "لماذا لا تأخذنى أنت إلى المرتفعات. معك أشعر بالقوة وأنا واثقة أنه لا أحد غيرك يستطيع أن يأخذنى إلى هناك".

- أجبها بعطف "ياخوافة من الممكن أن أفعل ما تطلبينه ومن الممكن أن أحملك إلى المرتفعات ولكن إن فعلت هذا فلن يكون لك أرجل الإيل... اصعدى هذه المرة فقط... ستكون صعبة وشاقة ولكن فى النهاية سيكون لك أرجل الإيل وحينئذ تستطيعين أن تكونى معى وتتبعينى دائماً... بالمناسبة يجب أن أحذرك بأن أعداءك يمكنهم الصعود على الجبل لمسافة محدودة ولا شك أنك ستقابلينهم لذلك اخترت لك رفيقتين قويتين لمساعدتك وأنا سأكون معك وإن لم تربيى سألنى نداءك فى اى وقت تحتاجين إلى فيه... فقط نادى إسمى. ولك وعدى الأمين أنه فى نهاية الرحلة ستكون لك أرجل الإيل وتتبعينى أينما ذهبت... لا تخافى لأنى أنا معك.

- خوافة: "أنا أثق بك يا راعى".

- رئيس الرعاة: "إن الثقة هى فضيلتك ياخوافة".

بعد مدة قصيرة وصلا إلى بداية الطريق عند سفح الجبل ولاحظت خوافة وجود سيدتين مقنعتين جالستين على إحدى الصخور وعندما رأتهما تقدمتا وإنحنتا أمام رئيس الرعاة فى صمت.

- رئيس الرعاة: "هاتان رفيقتك ياخوافة وسوف تصحبانك حتى نهاية رحلتك".

نظرت إليهما خوافة... حقيقة كان شكلهما يبدو عليه القوة... ولكن لماذا تغطيان وجهيهما. من هما؟ همست خوافة لرئيس الرعاة:

- ما اسميهما؟ ولماذا لا تتكلمان؟

- رئيس الرعاة: "إنهما تتكلمان لغة لا تعرفينها ولكن رويداً رويداً ستفهمينها كلما صعدت معهما، أما عن اسميهما فهى: أشجان وآلام".

كادت خوافة أن تقع من طولها إنها أمسكت برئيس الرعاة وأخذت تصرخ "لا أقدر أن أذهب معهما... لماذا ياسيدى تفعل هذا بي؟ كيف أسافر فى صحبة أشجان وآلام؟ لماذا لا تعطنى فرح وسلام يسندانى يساعدانى فى هذا الطريق الصعب؟ كيف تفعل هذا بي؟ أرجوك إشفق على!! لم أكن أتخيل أنك تريد هذا لى" ثم انفجرت فى بكاء شديد.

نظر إليها الراعى الحنون بحزن ولكنه قال برفقة: "فرحة وسلام!!؟ هل هما اللتان تطلبينهما لنفسك؟! ألم تعدينى أن تقبلى الرفيقتين اللتين اخترتهما لك ألا تنقى بي؟! خوافة... هل تذهبي مع أشجان وآلام أم ستعودى إلى قرية الإضطراب لتعيشى مع عائلة الخوف؟ كان الإختيار صعب... كانت تعرف الخوف جيداً أما الأشجان والآلام فيبدو لها أنهما أظف وأقسى. لكنها نظرت إلى رئيس الرعاة وأدركت فى نفسها أنه تثق به ولا تقدر أن تتركه ورغم كل ضعفها وخوفها فانها تحبه ولا تقدر أن ترفض له طلب أبداً فقالت:

- "سيدي لمن أذهب وحياتي هي معك... من لي في الأرض سواك... ساعدني لأتبعك... ساعدني لأثق بك".

وحالما سمع رئيس الرعاة هذا الكلام من خوافة ابتسم إبتسامة مملوءة بالإنتنصار والفرحة وقال:

- "كلك جميل بلا عيب فيك يا حبيبتى^٨"... لا تخافى... إذهبي مع أشجان وآلام وإن لم تقدرى على أن تقبليهما الآن فعلى الأقل اذهبي معهما وعندما تصلون إلى مناطق شديدة الوعورة والانحدار امسكى بأيديهما وسوف يساعدانك ويقودانك إلى حيث أريد أنا".

تقدمت خوافة بشجاعة لم تعهدتها في نفسها من قبل ثم قالت لأشجان وآلام "تفضلا أمامي وأنا سأتبعكما" قالت هذا لأنهما لم تُرد أن تضع يدها في أيديهما".

ابتسم رئيس الرعاة وقال "سلامي أترك لك". وقبل أن تدرك خوافة ما يحدث كان رئيس الرعاة قد ذهب من أمامهم متقدماً وصاعداً إلى المرتفعات وفي لحظات اختفى. ثم بدأت خوافة الرحلة وهي تعرج في طريقها إلى المرتفعات متجاهلة رفيقتيها وكأنها لا تراهما.

٥

المقابلة مع كبرياء

"لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور".

٢كو ١١ : ١٤

[الفهرس](#)

منذ البداية أدركت خوافة أن الطريق أشد انحداراً مما كانت تتوقع لدرجة انها اضطرت أن تمسك بيد رفيقتها كلما جاءت إلى منطقة صعبة وفي كل مرة كانت تمسك بيد أى منهما كانت تشعر بمرارة بتحتها ولكن أيضاً كانت تختبر قوتهما في رفعها إلى أعلى بسهولة.

نرجع الآن إلى وادى المذلة... اكتشفت عائلة الخوف هروب خوافة منهم فنارت ثائرتهم وأرادوا إرجاعها بكل الوسائل الممكنة... وأخيراً استقر رأيهم أن يعيشوا ورائها واحد من معارفهم... كبرياء... اختاروه لأنه كان قوى ووسيم وجذاب ولأنه لا يمكن أن يرجع بدون خوافة لأن كرامته لا تسمح له بالهزيمة أبداً.

مرت أيام على خوافة منذ بداية رحلتها وقد تقدمت تقدماً حسناً في رحلتها إلى أن ظهر كبرياء فجأة أمامها. تعجبت جداً خوافة من وجوده لكنها لم تخف بل ظنت أنه سيتجاهلها كالمعتاد... فإنه لم يدن منها أو حتى كان يجيها من قبل. لقد كان كبرياء يتبعهم من بعيد منذ فترة ولاحظ أن رئيس الرعاة غير موجود لذا تشجع وتقدم وقال "كيف حالك ياخوافة؟"

- "أهلاً أهلاً يا كبرياء" أجابت خوافة الساذجة بزهو وفخر فلم تعتد على هذا الترحيب من كبرياء.

أمسك كبرياء بيد خوافة لأنها لم تكن تمسك بيد أشجان وآلام ثم قال "خوافة، لقد قطعت كل هذا المسافة حتى أنبهك إلى سخافة هذه الرحلة... أين كرامتك؟! هل تصدقين أنه يجبك بحق؟! أنت التي لم يجبك أحد طوال حياتك!! أتخدعين نفسك؟ هل تعرفين ماذا سيحدث لك.. أو أين سيقودك هذا [لا يقدر كبرياء أن ينطق باسم رئيس الرعاة] سيأخذك إلى المرتفعات ويتركك هناك في خزي".

حاولت خوافة المسكينة الهروب منه ولكنه كان يمسك يدها بقوة... فصرخة "يارعى أسرع وأعنى ياسيدى إلتفت لمعونتى". وفي لحظة وجدوا رئيس الرعاة أمامهم مُمسك بعصا هوى بها على رأس كبرياء الذى أسرع يفر نازلاً الجبل.

إلتفت رئيس الرعاة لخوافة وقال لها بحزم: "لماذا تركت كبرياء يتكلم معك؟ لماذا تركت يد رفيقتاك؟ لو كنت تمسكين بهما ما حدث هذا أبداً".

تعلمت خوافة درساً لا يُنسى... إن التجاوب مع كبرياء فى أى حديث ستكون النجاة منه صعبة جداً.

أخذت تعرج بشدة أكثر من ذى قبل وشعرت بمرارة أشجان وآلام بصورة أعمق.

٦

جولة فى صحراء مصر

"لقد رأيت مشقة شعبي الذي فى مصر وسمعت أنينهم ونزلت لأخلصهم"

أع ٧ : ٣٤

[الفهرس](#)

بعد مقابلة كبرياء مضت خوافة ورفيقتها في طريقهم ولكن بصعوبة أكبر وبيضاء أشد وعلى الرغم من هذا فقد تقبلت مساعدة رفيقتها بترحيب وبمرور الوقت زالت آثار مقابلة كبرياء وتقدمت بسرعة في طريقها.

وأثناء سيرها في يوم ما استدار الطريق وانحنى وانحدر في حدة فرأت ولدهشتها صحراء شاسعة ممتدة إلى نهاية مرمى البصر ولشدة جزعها بدأت أشجان وآلام النزول فصرخت "ما هذا!! لقد أمرني رئيس الرعاة بالصعود لا بالنزول... لا بد أن نجد طريق يؤدي إلى أعلى".

ولكنهم أشاروا لها بأن تتبعهم ولكنها تجاهلتهم وأخذت تنظر شمالاً ويميناً في محاولة بحث عن طريق يصعد إلى أعلى ولكنها لم تجد. فصرخت "لقد وعدني بالصعود إلى المرتفعات إنه لم يقصد النزول أبداً... ياراعى أسرع لنجدتى لأنني في احتياج إليك".

وفي لحظة كان هناك واستدركت خوافة: "ياسيدى إنى لا أفهم هذا أبداً. الرفيقتان اللتان أعطيتني إياهما تريدان أخذنى إلى أسفل وهذا معناه أنى سأبتعد عن مسيرتى وأعتقد أنك لا تقصد هذا... أليس كلامى صحيح؟ أرجوك أرنا طريق آخر للصعود كما وعدت".

- أجاب برفق: "هذا هو الطريق وإرادتى هى أن تعبرى فيه".
- خوافة: "لا لا... إنك لا تقصد هذا أبداً فهو ضد وعدك لى بالصعود للمرتفعات... إن هذا يخالف وعودك".
- رئيس الرعاة: "إنه غير مخالف... فقط يؤجل الوعد إلى حين "وهذا للخير". شعرت خوافة وكأنه طعنها في قلبها وقالت بصوت مرتعش:
- هل تقصد فعلاً أنه يجب أن أنزل إلى أسفل وأعبر كل هذه الصحراء؟ ربما يأخذ هذا شهوراً بل سنين... هل هذا التأجيل إلى أجل "غير مسمى؟".
- هز رأسه بالإيجاب فى صمت... فخرت خوافة عند قدميه... لقد كان يقودها بعيداً عن مشتتهى قلبها وبدون وعد يضمن رجوعها. تكلم رئيس الرعاة فى هدوء شديد:
- "خوافة... هل تحبينى لدرجة أن تقبلنى التأجيل وهذا التناقض الظاهرى لوعدى... هل تقبلين النزول معى إلى صحراء مصر؟".
- كانت خوافة لا تزال ساجدة عند قدميه تبكى وكان قلبها سينفجر ولكن الآن رفعت رأسها ونظرت إليه من خلال دموعها وأمسكت بيديه:

- أحبك... أنت تعلم كل شئ أنت تعلم أني أحبك... ساحنى لأنى لا أقدر أن أمسك دموعى... ولكنى سأذهب معك حسب إرادتك... حتى لو لم تفسر لى الأسباب... سأذهب معك لأنك تعرف ما هو لخيرى".

فى ذلك الصباح بنت خوافة أول مذبح لها وقدمت إرادتها ذبيحة وجاءت نار وأكلت الذبيحة وتركتها رماداً، على الأقل هذا ما كانت تظنه ولكن رئيس الرعاة لفت نظرها إلى حجرة وسط الرماد وقال لها:

- "خديها كتذكار لأول مذبح".

ثم بدأوا النزول ومنذ أول خطوة شعرت خوافة بسعادة غامرة لأنها وجدت رئيس الرعاة بجانبها وينزل معها، وبدأ ينشد لها نشيداً عذباً جعل الحزن يذوب وكانت كلمات النشيد تلمح لها لماذا كان هذا التأجيل.

"أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع محتوم استيقظى يا ريح الشمال وتعالى ياريح الجنوب. هبى علىى جنتى فقطر أطياهما^٩".

وصلوا إلى صحراء مصر بسرعة غير متوقعة لأنه على الرغم من شدة الانحدار إلا أن خوافة كانت تستند على ذراع رئيس الرعاة فلم تشعر بضعفها مطلقاً. وهكذا وصلوا إلى بعض الأكواخ حيث كانوا سيبيتون ليلتهم ثم أخذ رئيس الرعاة خوافة جانباً وقال لها: "خوافة كل خدامى الذين سبقوك إلى المرتفعات مروا من هذا الطريق إنه يسمى الرعبة المظلمة العظيمة^{١٠}. هنا تعلموا أشياء كثيرة... تعلموا سر الملوكية وها أنت هنا... إنها فرصة عظيمة، لأن الذين يجتازون صحراء مصر وهذه الظلمة وهذا الآتون يخرجون منه أمراء وأميرات" ما كاد رئيس الرعاة ينتهى من كلامه حتى رأت خوافة الصحراء مليئة بالأشخاص...

رأت إبراهيم وزوجته سارة أول من تغربوا فى هذا الأرض ثم يوسف مجروح ومرذول من إخوته الذين باعوه كعبد الذى لما بكى طالباً خيمة أبيه لم ير سوى هذه الصحراء... بعدهم رأت سلسلة من الأشخاص بلا نهاية تتقدمهم ملكة بدت أجمل من الكل وأكثرهم جلالاً ومجداً فقد كانت والدة رئيس الرعاة بنفسها... نظرت إلى خوافة بحنان وقالت لها "مهنا قال لك فافعليه^{١١} فإنه أنا أيضاً جاز فى قلبى سيف^{١٢} ولكن الآن كل الأجيال تطوبنى لأنه نظر إلى اتضاع أمته^{١٣}". تشجعت خوافة من كلامها وملاً السرور قلبها ثم سمعت صوتاً واضحاً يرن فى أذنيها:

^٩ نش ٤: ١٢، ١٦

^{١٠} تك ١٥: ١٢

^{١١} يو ٢: ٥

^{١٢} لو ١: ٤٨

^{١٣} لو ٢: ٣٥

"لا تخافى من النزول إلى أرض مصر لأن هناك سأجعلك أمة عظيمة وسأصعدك من أرض مصر"^{١٤}.

بعد هذا رجعت إلى الأكواخ واستراحت فى تلك الليلة وصباح اليوم التالى أخذها رئيس الرعاة فى جولة إلى المغارات المنتشرة فى الصحراء. وفتح باباً صغيراً فى إحداها فدخلوا حجرة تشبه الطاحونة... كان بما أكوام القمح فى كل مكان عدا فى منتصف الحجرة حيث كان الرجال يطحنون أنواعاً مختلفة من القمح... بعضها ناعم كالهشيم وآخر خشن وفى ناحية كانت السيدات يجلسن على الأرض يطحن أجود أنواع القمح بالرحى. لاحظت خوافة كيف أن القمح يضرب بشدة حتى يتكسر ومع الطحن يصير ناعماً يصلح لعمل أجود أنواع الخبز.

- رئيس الرعاة: "انظرى الطرق العديدة لسحق القمح. لكل منها فائدة وهدف ما... أن الشونيز لا يدرس بالنورج ولا تدار بكرة العجلة على الكمون بل بالقضيب يخبط الشونيز والكمون بالعصا... يدق القمح لأنه لا يدرسه إلى الأبد فيسوق بكرة عجلته وخيله. لا يسحقه"^{١٥}.

لاحظت خوافة أيضاً طول المدة التى يستغرقها طحن الدقيق حتى يصير ناعماً ثم سمعت رئيس الرعاة قائلاً "إبنى احضر شعبى إلى مصر حتى يُطحنون فيصيرون صالحين للاستعمال... لأنه لا يدرسه إلى الأبد... هذا أيضاً خرج من قبل رب الجنود"^{١٦}.

ثم ذهبوا للمغارة التالية وفى وسطها وجدوا عجلة كبيرة كأنها منضدة وبجانبتها فخارى أخذ يصنع أشكالاً جميلة وأشياء مفيدة... كان الطين يُقطع ويُضبط عليه ولكنه دائماً صامت مستسلم.

- رئيس الرعاة: "فى مصر أيضاً أصنع أجمل الأواني وأدوات كما أرى أنه نافع... أما أستطيع أن أصنع بك كهذا الفخارى ياخوافة?... هوذا كالطين بيد الفخارى أنت هكذا بيدى"^{١٧}.

بعدها ذهبوا للمغارة الثالثة ووجدوا فيها فرن عظيم حيث ينقى الذهب من كل زغل... كان يُلقى فى الفرن أيضاً أحجاراً وعند خروجها إذ هى أحجار كريمة تيرق كأنها أخذت لمعان النار داخلها.

- رئيس الرعاة: "إن الذهب يمحس فى النار والمرضىين من الناس يمحسون فى آتون الإتضاع"^{١٨} أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا أبنى بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أوُسسك وأجعل شُرفك

¹⁴ تك ٤٦ : ٣

¹⁵ أش ٢٨ : ٢٧ ، ٢٨

¹⁶ أش ٢٨ : ٢٩

¹⁷ أر ١٨ : ٦

¹⁸ سيراخ ٢ : ٥

ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة^{١٩} " ثم أكمل "افضل جواهرى عبرت على آتون مصر".

مرت عدة أيام وهم يمكثون في صحراء مصر وفي آخر يوم رأّت خوافة وردة جميلة كانت تنمو وحيدة في الصحراء فاقتربت منها وسألته "ما اسمك؟" فأجابت الوردة "اسمى مطيعة" فكرت خوافة في نفسها "إذن هذا هو السبب الذى من أجله أحضرتى رئيس الرعاة إلى هنا... لأتعلم إرادته... من الآن فصاعد سوف أكون عبدته المطيعة" وانحنت وأخذت حجرة من جانب الوردة ووضعتها في الكيس مع الأولى التى أخذتها من أول مذبح بنته.

¹⁹ أش ٥٤ : ١١ ، ١٢

٧

على شاطئ الوحدة

"عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذذ نفسي".

مز ٩٤ : ١٩

[الفهرس](#)

بعدهما تركوا الصحراء وأثناء سيرهم اعترض الطريق الرئيسى طريق آخر مُقاطع فأشار إليها رئيس الرعاة: "هذا هو الطريق الذى يجب أن تسلكيه الآن". وعندما بدأوا السير فيه كانت ظهورهم للمرتفعات ومشوا حتى وصلوا إلى شاطئ بحر واسع كبير.

- رئيس الرعاة: "الآن حان الوقت لأتركك ياخوافة وأذهب ولكن تذكرى أنه حتى لو بدا أنك تتعدين عن المرتفعات وعنى... لكن فى الحقيقة لا يوجد مسافات بيننا نهائياً لأني سأكون بجانبك عندما تطيبينى... ثقى فى هذا... خرافى تسمع صوتى وتتبعينى... عندما تنوين تنفيذ إرادتى ستجدين أنك تستطيعين أن تسمعى صوتى وعندما تسمعين يجب أن تطيعى حتى لو طلبت منك ما يبدو مستحيلاً". مشت خوافة مع رفيقتها لعدة أيام وفكرت فى نفسها أنها لم تكن تعرف معنى الوحدة حتى الآن... فلم يوجد معها أى أحد من أصدقائها... حتى المرتفعات لم تعد تراها... لم يتواجد شئ سوى صحراء جرداء على ناحية وبحر شاسع على الأخرى... لم تتواجد شجرة أو أى شئ أخضر... الكائنات الحية الوحيدة كانت طيور النورس فى السماء والكابوريا فى شقوق الرمال.

فى تلك الأيام لم تترك خوافة أيدى رفيقتها أبداً وكان عجباً مقدار مساعدتهما لها والأعجب من هذا أن العرج الواضح فى سيرها تلاشى تقريباً لأن درس الطاعة الذى تعلمته فى صحراء مصر ترك أثراً عليها معلناً بداية مرحلة جديدة فى حياتها... فصحيح أنها مازالت خوافة ولكن علامة الطاعة ختمت على جبينها ختم الملوكية... وهكذا مرات الأيام... لم تكن خوافة تندمر أو تشكو بل كانت تشعر بسعادة غريبة بل انها بدأت تلاحظ جمال الطبيعة من حولها. وذات يوم وصلوا إلى استراحة مبنية على صخور عالية تطل على شاطئ واستقبلهم شيخ من خدام الراعى وعلى ميامه وقار عجيب وقد إرتسمت على وجهه بساطة الطفولة أما شفاته فلا تفارقهما البشاشة قط. رحب بهم بجملة وقال: "لقد كنت فى انتظارك ياخوافة... فما هى أخبارك؟" جلست خوافة معه على انفراد وأخبرته بكل ما حدث لها حتى تلك اللحظة وعندما انتهت شجعها الشيخ قائلاً: "إن محبتك لرئيس الرعاة هى سندك فى التجارب... ثقى أنت أيضاً فى محبته لك ولا تجزعى لأنه معك ويرعاك". بعد هذا قدم لها الشيخ الوقور خبزاً وكأساً من عصير الكرمة لتأكل... فتقوّت وانتعشت.

وبعد فترة ذهبت خوافة للتجول وحدها... صعدت إلى أعلى الصخور وعندما وصلت إلى حافتها وجدت أنها تقف على سقف كهف داخل البحر... كان الكهف فارغاً... لكن بعد عدة ساعات جاءت مياه المد وملأته فخرت خوافة على ركبتيها وقدمت ذبيحة ثالثة قائلة: "أشكرك ياسيدى أنك قدتنى إلى هنا... فأنا مثل هذا الكهف الفارغ منتظرة وعدك بامتلاء" ثم أخذت حجرة ووضعته مع السابقتين.

عندما لم يعد كبرياء مع فريسته إلى قرية الإضطراب فهمت عائلة الخوف أنه أخفق في مهمته ولكن كبرياءه يمنعه من الإعتراف بفشله. فقررُوا إرسال مجموعة ثانية لتلحق بخوافة قبل وصولها حيث تصبح بعيدة عن أيديهم... أرسلوا حواسيس جاءوا وأخبروهم أن خوافة تسير في طريق على شاطئ الوحدة. ففرحوا جداً وظنوا أنه من السهل إرجاعها فبعثوا بـ "ندم" و "مرارة" و "شفقة على النفس" وذهب معهم كبرياء أيضاً.

وصل أعداء خوافة إلى حيث هي تمكث وبدأت معركة حامية جداً بينهم... أدركوا أن خوافة لم تعد كما كانت... فلم يقدرُوا أن يقتربوا منها لأنها كانت تمسك بيد أشجان وآلام لذلك ظلوا ينادون عليها يقترحون عليها اقتراحات سخيفة ويحاولون إخافتها فقال لها كبرياء:

- "ألم أقل لك هذا؟ اين أنت الآن من المرتفعات... كل الناس في وادي المذلة يعرفون أنك تسيرين على شاطئ الوحدة ويسخرون منك".

- ندم: "هل تعرفين ياخوافة أنك عبيطة... كيف تتبعين من يطلب منك كل هذه التضحيات ولا يعطيك شيئاً سوى الحزن والألم والسخرية... دافعي عن نفسك!! طالبى بحقوقك!! أو ارجعى عن هذه الرحلة السخيفة".

- وأضاف مرارة: "كلما أطعته يطلب منك أكثر... إنه ينتهز طيبتك... ولكن كل ما طلبه منك لا يُعد شيئاً لما يطلبه من آخرين... إنه يجعل أحباءه وأتباعه يُضطهدون ويعذبون بل ويسفكون دماءهم من أجله... هل تقدرين على هذا؟... اهربي الآن قبل أن يضع عليك صليب ويتركك تحمليه وحدك".

أما الشفقة على النفس فكان أسوأهم... كانت كلماته تجعل خوافة تشعر بالضعف الشديد "يامسكينة إنك مخطئة جداً... ولكن هل تظني أنه فعلاً يجبك ليترك هكذا... لك الحق أن تُشفقى على نفسك. حتى ولو عندك إستعداد لبذل ذاتك فيجب أن تُظهره للناس حتى يشفقوا عليك بدلاً من أن يسخروا منك ولكن يبدو أن الذى تتبعينه يجد مسرته في أن يسحقك ويجرحك".

كانت كلمات "يسحقك" خطأ من الشفقة على النفس إذ جعلت خوافة تتذكر الدقيق المسحوق الذى رآته في المغارة في صحراء مصر وتذكرت "لأنه لا يسحقه إلى الأبد" فقط حتى يصير صالحاً للاستعمال... ولدهشة شفقة على النفس إلتقطت خوافة حجراً صغيراً ودفعته نحوه فأسرع يجرى مبتعداً.

وهكذا مضت الأيام عصبية لأن خوافة كانت تمسك بيد أشجان وآلام فلم تستطع أن تغطى أذنيها فقد اضطرت لسماع كل مشاكسات أعدائها وذات يوم حدثت كارثة... فقد بدا أن الأعداء يستريحون قليلاً فأخذت خوافة تتجول وحدها دون حذر إلى أن وصلت إلى برزخ جبلى يمتد داخل البحر كلسان ولفزعها فوجئت بالأربعة الأعداء حولها... لحسن الحظ كان البرزخ ضيق لا يسعهم جميعاً ولكن كبرياء تقدم قائلاً بوحشية:

- "نحن أربعة ولن تقدرى على الهروب منا وسوف نأخذك معنا الآن".

رفعت خوافة عينيها للسماء وصرخت: "إلى متى تنساني حتى متى تصرف وجهك عنى إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى وهذه الأوجاع فى قلبى كل يوم، الذين يحزنونى يتهللون إن أنا زللت أما أنا على رحمتك توكلت^{٢٠}".

وكم كانت صدمة الأوغاد الأربعة عندما وقف رئيس الرعاة أمامهم فى نفس اللحظة... جرى ندم ومرارة وشفقة على النفس ولكن لأن كبرياء كان على وشك الهجوم على خوافة فقد وقع فى قبضة رئيس الرعاة الذى أمسك به ورفعها عالياً ثم طرحه إلى أسفل فى البحر... سألته خوافة "هل تظن أنه مات؟" رئيس الرعاة: "لا... هذا غير ممكن" وألقى نظرة على البحر حيث كان كبرياء يعوم ناحية البر.

- خوافة: "ياراعى النفس لماذا كنت ساقع فى يد كبرياء ثانية ولماذا فغروا على أفواهم كأسد مفترس منجمر^{٢١}".

- "يبدو لى ياخوافة" أحاب الرعاى برقة "أن الطريق كان سهلاً فى الفترة الأخيرة... لقد نسيت لفترة أنك عبدتى المطيعة وبدأت تقلقين وتريدى العودة ولهذا تمكن الأعداء منك".

احمر وجه خوافة خجلاً ولم تنبس بينت شفة لألها كانت تعرف أن هذا التشخيص صحيح وردت بأسف:

- "أنت على حق لقد بدأت أظن أنك نسيت وعدك ولكنى أجدد عهدى معك... أنا عبدتك أحبك وأطيعك فى أى طريق تختاره لى".

أخذ رئيس الرعاة حجارة من جانب خوافة وقال "ضعى هذه مع الباقي كتذكار لهزيمة كبرياء وتحديد عهدك لى بالطاعة والانتظار بصبر".

مرت أيام على انتصار خوافة واستمرت فى الرحلة مع رفيقيتها وصباح ذات يوم وجدن إن الطريق الذى يسرن فيه يتجه مرة أخرى ناحية المرتفعات... التى بالطبع كانت بعيدة جداً. صفقت خوافة بيديها من الفرحة وأخذت تجرى ناحية المرتفعات كما لو لم تكن عرجاء. ولكن فجأة انحنى الطريق بزواية حادة وامتد على مرمى البصر ووقفت خوافة فى ذهول!!! فيها هو رئيس الرعاة يؤجل الوصول للمرتفعات مرة أخرى. وعن قرب ظهر مرارة... لم يقترب منها لأنه تعلم قليل من الحذر ولكنه أخذ يضحك ويضحك ضحكات مملوءة بالسخرية المرة وقال لها: "لماذا لا تضحكين أنت أيضاً يا عبيطة... كنت تعلمين ان هذا سيحدث" واستمر فى ضحكه حتى امتلأ المكان بصوته.

²⁰ راجع مز ١٢

²¹ مز ٢٢ : ١٣

لحقت أشجان وآلام بخوافة ووقفنا بجانبها في هدوء ثم قالت خوافة:

- "ماذا تريد أن تقول لي ياسيدي؟ تكلم فإن عبدتك تسمع".

في الحال كان رئيس الرعاة يقف بجانبها وقال "لا تخافى تشددى وتشجعى... وابنى لي مذبحاً آخر وقدمى عليه

إرادتك وذاتك". ففعلت خوافة كما أمر وقالت:

- "مشيكتك سررت أن أصنع" وجاءت نار والتهمت الذبيحة وسُمع صوت رئيس الرعاة "هذا ليس

للموت بل ليتمجد اسم الله^{٢٢}". التقطت خوافة الحجرة المتبقية من احتراق الذبيحة ووضعتها مع

السابقين.

وانتهت في الطريق الذى أراده لها راعيها وأثناء سيرها التقطت زلطة أخرى تذكراً لانتصارها على ذاتها وعلى

أعدائها. وهكذا ساروا حتى وجدوا أنفسهم في "غابة السلام". كانت مملوءة بالأشجار والنباتات المختلفة والزهور

المتنوعة الجميلة والطيور المغردة التى تملأ المكان بأصواتها الرقيقة. ملأت السعادة نفس خوافة وتذكرت بذرة الحب

المزروعة في قلبها وأرادت أن تلقى نظرة لترى إذا كانت حقاً تنمو؟! فنظرت داخل قلبها ورأت عشباً أحضر وفيه ما

يشبه برعم الزهرة... فبكت لأنها تذكرت أن رئيس الرعاة قال لها أنه عندما تزهو زهرة الحب في قلبك تصبحين كل

البعد عن المرتفعات. ولكنها لم تبتك كثيراً لأنها لاحظت وجود زهرة جميلة في أرض الغابة كتلك التى رأتها في صحراء

مصر... أحنت الزهرة رأسها وقالت "أنا مطيعة" فابتسمت خوافة وتمتمت "نعم لقد نسيت". ثم بنت مذبحاً آخر

وقدمت قلبها ومحبتها وطاعتها ومثل كل المرات التهمت النار ذبيحتها وأخذت خوافة الحجرة المتبقية . وعندما وصلن

للطرف الآخر للغابة صرحت خوافة من الفرحة إذ رأت رئيس الرعاة ينتظرها مبتسماً... فجرت وسجدت عند قدميه

قائلة: أنا حبيبي وإلى اشتياقه^{٢٣}.

"حبيبي لي وأنا له الراعى بين السوسن^{٢٤}".

- رئيس الرعاة: "جئت لأبشرك برسالة جديدة وهى أن تكونى مستعدة... الآن تنظرى ما أنا أفعل^{٢٥}".

- خوافة: "هل تعنى أنه قد حان الوقت لذهابى إلى المرتفعات ظننت انه هز رأسه ولكنه لم يجب بل نظر إليها

بطريقة لم تفهمها. فأعادت سؤالها فرد عليها قائلاً: "أما قلت لك الآن تنظرى ما أنا أفعل؟!".

²² يو ١١ : ٤

²³ نش ٧ : ١٠

²⁴ نش ٢ : ١٦

²⁵ حر ٦ : ١

٨

جبل التجريح

"وآخرون تجربوا في هزء وجلد... طافوا معتازين مكرويين مذلين"

عب ١١ : ٣٦

[الفهرس](#)

سارت خوافة بعد هذا وهى سعيدة جداً. ألم يعدها رئيس الرعاة بالصعود للمرتفعات قريباً؟! بعد قليل أخذ الطريق يصعد نحو الجبال المشعبة وفي صباح أحد الأيام وجدوا أنهم قد وصلوا لقمة جبل صغير وكانت القمة عبارة عن مساحة واسعة من الأرض المستوية وفي الناحية الأخرى بداية لسلسلة أخرى من الجبال أعلى بكثير من ذلك الذى يقفون على قمته فى تلك اللحظة. فأدركت خوافة أنها تنظر إلى حدود المرتفعات. سقطت على ركبتيها وأحنت رأسها وشكرت. فى تلك اللحظة نسيت كل الشقاء والتعب والألم الذى تعرضت له. بعدها قامت خوافة من ركوعها وأخذوا فى عبور هذه المنطقة بسرعة لأنه رغم ارتفاعها فقد كانت مستوية حتى وجدوا أنفسهم عند سفح الجبال العالية. صعقت خوافة من رؤية شدة إرتفاع الجبال وتوقعت أن ترى طريق ممدد للصعود عليها ولكنها لم تجد.

نظرت خوافة بذهول وكلما نظرت زاد شعورها بالخوف حتى بدأت ترتع. كانت الجبال تحيط بهم من كل ناحية حتى بدا أن الطريق الوحيد الممدد هو طريق الرجوع!!!

ولكن آلام أمسكت بيد خوافة وأشارت إلى غزال وإبل ظهرا من مكان ما بين الصخور بجانبهم وبدء الصعود... ووقف الثلاثة ينظرون!! كان الطريق شديد التعرج وفي بعض الأحيان ضيق جداً وفي أماكن متقطع وغير متصل ببعضه فكان الغزال والغيل يقفزان برشاقة ليستكملوا مسيرتهما حتى وصلوا إلى القمة واختفيا عن الأنظار "هاهو الطريق لقد أوضحه لنا الغزال والإبل لن نعود للوراء" هكذا قالت أشجان مشجعة.

- خوافة: "لا... لا... هذا مستحيل إنه طريق للإبل وليس للبشر لا أقدر على الصعود هكذا فسوف أسقط وأتخطم".

وبدأت ترتجف وتبكي بطريقة هستيرية وأكملت: "مستحيل مستحيل... لن أذهب للمرتفعات بعد كل هذا". حاولت رفيقتها ان تقول لها شيئاً ولكنها وضعت يديها فوق أذنيها حتى لا تسمع وأخذت تبكي من جديد.

- هاهاها وأخيراً إلتقينا مرة أخرى ياخوافة!! كيف حالك الآن؟ سعيدة؟؟!!

التفتت خوافة ناحية الصوت ونظرت بفرع... لقد كان "جبان"!! وأكمل "لقد توقعت هذا منذ البداية هل ظننت أنه يمكن أن تهربى منى إلى الأبد؟! إنك من عائلة الخوف وسوف آخذك لمكانك لتكونى فى أمان".

- خوافة: "لن أذهب معك".

- جبان: "إذن اختارى إما أن تصعدى على هذا الجبل ثم تقهرى فتتكسر عظامك أو ترجعى معى".

- "خوافة... تعرفين إنه كاذب... نادى على رئيس الرعاة حالاً".

هكذا قالت رفيقتها. تمسكت خوافة بهما وقالت "أنا خائفة منه لأنه سيقول لى أنه يجب على أن أذهب فى هذا الطريق الصعب الخطر لذا لا أقدر على مواجهته... آه ماذا أفعل؟... ماذا أفعل؟".

ربت أشجان على كتفها قائلة: "لابد ياخوافة... لابد أن تنادى عليه الآن وبسرعة".

- خوافة: "سيطلب مني أن أصعد إرادتي ذبيحة وأنا لا أقدر أن أفعل ذلك... لا أقدر هذه المرة".

ضحك "جبان" بانتصار وتقدم ناحيتها ولكن رفيقتها أحاطتا بها ووضعتا نفسيهما بينه وبين ضحيته. حينئذ نظرت أشجان إلى آلام التي فهمت وهزت رأسها بالإيجاب وأخرجت سكين صغير ولكنه حاد جداً من منطقتها ووخزت خوافة التي صرخت من الألم وفعلت ماكان لابد لها أن تفعله منذ جاءت لسفح الجبل لقد صرخت "لماذا كثر الذين يجزنوني كثيرون قاموا علي... بصوتي إلى الرب صرخت فاستجاب لي من جبل قدسه"^{٢٦}.

"لماذا ياخوافة" جاءها صوت رئيس الرعاة "تشددى أنا هو لا تخافى".

كان صوته مملوء بالحب والقوة حتى أن خوافة شعرت بأن الحياة تدب في كيانها مرة أخرى.

- رئيس الرعاة: "ياخوافة... أخبريني ماذا بك لماذا أنت خائفة هكذا؟"

- خوافة: "إنه الطريق الذى اخترته لى... إنه يبدو مخيف... إننى أشعر بالدوار كلما نظرت إليه... إنه للغزال والإيل وليس لجبانة تعرج مثلى".

- رئيس الرعاة: "ولكن ياخوافة بماذا وعدتك عندما كنت لا تزالين فى وادى المزلّة؟"

- خوافة: "وعدتني بأنك ستجعل رجلى كالإيل وتقييمنى على المرتفعات".

- رئيس الرعاة: "الطريقة الوحيدة ليكون لك أرجل الإيل أن تذهبى فى طريقهم". ارتعشت خوافة وقالت ببطء:

- "لا أظن... لا أريد... لأأريد أرجل الإيل إذا كان لابد لى من الصعود على هذا الجبل".

ولدهشتها ابتسم رئيس الرعاة وقال:

- بل تريدن... أنا أعلم ما فى قلبك أكثر منك... إنك تشتهين أن تكون لك أرجل الإيل وأنا أعدك بها... ماذا قلت لك آخر مرة؟

- خوافة: قلت لى "انتظرى وانظرى ما أنا فاعله" ولكنى لم أتخيل شئ هكذا... إنى لست إيل... إن هذا صعب جداً".

- رئيس الرعاة: "وأنا أحب أن أصنع أشياء صعبة إن اشتياقي هو أن أحول الضعف إلى قوة والخوف إلى إيمان والنقص إلى كمال... إن هذا عملي الخاص وسوف أحول خوافة إلى ...؟؟...!! لنتظر ونرى ماذا ستكون!!! خوافة هل تؤمنين باننى سوف أغيرك؟"
- "نعم".
- "هل تدعيني أغيرك؟".
- "نعم".
- هل تظنين أنه من الممكن أن أتخلى عنك؟".
- "بالقطع لا... أرجوك تم إرادتك في... لا شئ سوى هذا يههم" وككل المرات السابقة انخنت وركعت وقدمت ذاتها ذبيحة وأخذت الحجرة المتبقية ووضعها في كيسها ثم وقفت على رجليها منتظرة أن تسمع إرشادات رئيس الرعاة.
- "الآن ياخوافة أنت على سفح المرتفعات ومرحلة جديدة من رحلتك ستبدأ... هذا الجبل اسمه جبل التجريح ويوجد جبل أصعب منه مثل جبل الكراهية وجبل الإضطهاد وجبل الإنتقام... ولا سبيل للوصول للمرتفعات إلا إذا عبرت فوق واحد منهم وأنا اخترت لك هذا... لقد تعلمت حتى الآن درس الطاعة وهو أول درس في المحبة والآن يجب عليك أن تتعلمي الدرس الثاني أثناء صعودك على جبل التجريح لأنه لن يؤذيك أى شئ إذا تعلمتيه".
- بعد ذلك وضع رئيس الرعاة يده فوق خوافة وباركها ثم نادى على رفيقتها لأههما كانتا دائماً تتركان رئيس الرعاة وخوافة أثناء حديثهما. أخذ رئيس الرعاة حبلاً ثم ربط به أشجان ثم خوافة وأخيراً آلام وهكذا كانت خوافة محاطة بمعونة رفيقتها الشديدين وحتى إن سقطت فسوف تستطيعان أن تجذباها إلى أعلى.
- أخرج رئيس الرعاة من جعبته زجاجة صغيرة بها دواء منعش ومقوى وأوصاها أن تشرب منه لتشعر بالقوة. كان إسم الدواء هو "روح النعمة والتعزية" وحالما شربت خوافة نقطتين أو ثلاثة شعرت بحيوية جعلتها مستعدة للصعود دون تردد. ودعهم رئيس الرعاة قائلاً:
- سوف لن تقدرين على الوصول للقمة قبل إنتهاء اليوم، لأنه وقت الغروب الآن. ولكن في منتصف الطريق توجد مغارة وسط الصخور تستطيعين أن تسترحن فيها. ولكن إن لم تصعدوا الآن فسوف يدركن الأعداء ولعلى أحذركن بأنكن سوف تقابلنهن عند القمة".
- عندما بدأت خوافة طريق الصعود، اكتشفت ولدهشتها الشديدة أن الطريق ليس بالصعوبة التي كان يبدو بها. صحيح كان ضيق وشديد الوعورة ولكن إحساسها بأنها مربوطه بقوة لأشجان وآلام أعطاها إحساس بالأمان. كما حفظها من الدوار والسقوط "روح النعمة والتعزية". وشعرت أيضاً بأن رئيس الرعاة قريب منها جداً رغم أنها لم تكن

تراه. وعندما نظرت إلى أسفل وجدت أعداءها الخمسة يتبعونها بنظراتهم الحاقدة وهي تصعد إلى أعلى... حتى "الشفقة على النفس" الذي كان يبدو أقل خطورة منهم أخذ حجارة ليرشقها بها ولكنها كانت بعيدة عن مجال الرمي. وتذكرت تحذير رئيس الرعاة بأنها سوف تقابل أعداءها مرة أخرى عند وصولها للقمة.

وجدت خوافة أثناء صعودها أن المناطق التي كانت تبدو خطيرة من أسفل ممهدة وسهلة إلى حد لم تكن تتوقعة. استمررن في الصعود حتى وصلن إلى المغارة التي قال عنها رئيس الرعاة فدخلن فيها ليبيتن ليلتهن.

استيقظت خوافة فجر اليوم التالي وأخذت تنظر حولها وتفكر "كم هو موحش هذا المكان لا يوجد فيه أى كائن حتى ولو شجرة... هذه الصخور شكلها قاسى... تبدو كما لو كانت تنتظر فريسة لتمزقها" وفيما هي تفكر هكذا لفتت نظرها وردة حمراء تنمو على جذع رفيع جداً وتشق طريقها بصعوبة وسط الصخور الصلبة حتى أنه لم يكن لها سوى ورقتين.

- خوافة: "ما اسمك أيتها الوردة الجميلة".

- الوردة: "اسمى سماح". فتذكرت خوافة كلمات رئيس الرعاة: "عند صعودك يجب أن تتعلمي الدرس الثاني في المحبة".

- خوافة: "ولكن لماذا اسمك سماح".

- الوردة: "لأننى أبعدت عن صديقتى وطُردت من بيتى وسُجنت فى هذه الصخور وتُركت لأعاني من نتيجة أفعال الآخرين ولكننى تحملت ولم أجزع ولم أتوقف عن المحبة فهى التى ساعدتني أن أشق طريقى وسط الصخور حتى أتمكن من رؤية وجه الشمس^{٢٧}، فلا يوجد شئ حولى يستطيع أن يحول انتباهى عنها... إنها تشرق علىّ فتفرحنى وتعوضنى عن كل ما خسرتة. لا يوجد وردة فى العالم كله تفرح بحالها وظروفها مثلى لأنى دائماً أردد "من لى فى السماء ومعك لا أريد شيئاً على الأرض"^{٢٨}".

نظرت خوافة إلى الوردة الحمراء بغيره وعرفت ما لا بد أن تفعله فسجدت وقالت: "يا سيدى... هوذا أنا عبدتك سماح". وعندما قالت هذا سقطت حجرة من جانب الوردة فوضعتها خوافة فى كيسها مع الأخريات.

رجعت خوافة إلى حيث كانت أشجان وآلام فى انتظارها ليستكملن رحلتهم. وبعد مسيرة قصيرة أتين إلى منزلق خطير مما أدى إلى سقوط خوافة للمرة الأولى فجرحت جرحاً عميقاً ولحسن حظها أنها كانت مربوطه جيداً برفيقتيها وإلا لسقطت إلى سفح الجبل وربما أودى ذلك بحياتها. وعندما تصوّرت خوافة ما كان ممكناً حدوثه لها ملاً الفزع قلبها

²⁷ ملا ٤ : ٢

²⁸ مز ٧٣ : ٢٥

وشعرت بدوار فجلست وأخذت تستغيث: "إن سأسقط... إن خائفة... أعيشوني" قبضت أشجان بشدة على الحبل الذى يربطهما حتى لا تسقط خوافة وجاءتها آلام قائلة: "اشربى من روح التعزية الذى أعطاه لك رئيس الرعاة".

- خوافة: "لا أعرف أين وضعت الزجاجاة... إننى حتى غير قادرة عن البحث عنها" قالت هذا وارتمت فى أحضان آلام التى أخذت تبحث عن الزجاجاة فى جعبة خوافة حتى وجدتها وأسالت بعض القطرات على شفتى خوافة فبدأت تتقوى وتستعد للوقوف. ولكن لأن ركبتيها كانت قد جُرحتا فقد سرن ببطء شديد وخوافة تتأوه وتشكى وتتذمر وبدا أهم لن يصلن للقامة قبل حلول الظلام... فقالت لها آلام: "خوافة ماذا كنت تفعلين هذا الصباح عندما تجولت وحدك خارج المغارة؟".

احمر لون خوافة خجلاً وأجابت: "كنت أتأمل وردة جميلة!!".

- آلام: "وما اسم الوردة ياخوافة؟".

- خوافة بصوت هادئ خجول: "اسمها سماح" وسكتت لأنها أدركت أنها لا تمارس ثانى درس فى المحبة. ثم قالت بعد قليل: "هل يمكن أن أضع بعض من الدواء على ركبتي؟".

أجابت أشجان وآلام: "جربى".

وعندما وضعتا بعض من الدواء على ركبتيها توقف النزيف وقَلَّ الألم... ولذلك مشين بسرعة أكبر حتى تمكن من الوصول للقامة وقت الغروب فجلسن ليسترحن فوق العشب الأخضر وتحت ظلال أشجار الأرز هنا سمعن صوتاً جميلاً ينشد:

كلك جميل يا حبيبتى... ليس فيك عيب... هلمى معى من لبنان... ياعروس معى من لبنان.

انظرى من رأس أمانة... من رأس شنير وحرمون من خدور الأسود... من جبال النمر. ومن بين الأشجار ظهر

رئيس الرعاة آتياً نحوهم^{٢٩}.

٩

فى غابة الخطر والرعب

"بأسفار مراراً كثيرة بأخطار سيول بأخطار فى البرية... فى تعب وكد."

٢ كو ١١ : ٢٦ ، ٢٧

[الفهرس](#)

ياله من فرح ذلك الذى استقبلن به رئيس الرعاة حينما جاء وسطهم وبعد أن هناهن بجرارة على صعودهن قمة جبل التجريح وضع يده على جراحت خوفاء وفي الحال التأم. ثم بدأ يكلمهن عن الطريق الذى سيسلكنه. "الآن يجب عليكم أن تجترن هذه الغابة التى أمامكن واسمها "غابة الخطر والرعب" فيها ينمو شجر الأرز بكثرة لدرجة أنه يحجب أشعة الشمس فيغطى الغابة الظلام وتهب العواصف الكثيرة ولكن لا تهتمن لأنه لن يؤذيكن ما دمتن سائرات حسب إرادتى".

كان شيئاً غريباً أن تجزع خوفاء ثانية بعد أن اجتازت تجربة صعود جبل التجريح ولكن هذا ماحدث "غابة الخطر والرعب؟! إلى أين ستقودن ثانية بعد هذا؟!!" قالت خوفاء بانزعاج.

- رئيس الرعاة: "إنها المرحلة التالية فى طريقك للمرتفعات".

- خوفاء: "لست أدري كيف تريدن أن أصعد إلى المرتفعات وأنت تعلم أن رجلىّ مازالتا عرجاوتان... لماذا تهتم بي هكذا؟! لماذا لا تتخلى عني وتركيني؟! فإن صعودى للمرتفعات أراه مستحيلاً".

نظر إليها رئيس الرعاة مجدية "انظري إلى ياخوفاة... هل تعتقدن أننى خدعتك؟ هل وعدتك ولم أتمم أو تكلمت ولم أفعل؟".

ارتعدت خوفاء وأجابت بندم: "حاشا بل لتكن أنت صادقاً وكل إنسان كاذباً"^{٣٠}.

فلما رأى رئيس الرعاة أنها أجابت بندم تحن عليها وقال "أنا سأقودك خلال المخاطر... لا تخافى لأنى أنا معك... إن سرت فى وادى ظل الموت فلا تخافى شراً لأن عصاى وعكازى هما يعزيانك"^{٣١}. لا تخافى من هول الليل ولا من سهم يطير فى النهار ولا من أمر يسلك فى الظلمة ولا من شيطان الظهرية يسقط على يسارك ألوف وعن يمينك ربوات أما أنت فلا يقتربون إليك"^{٣٢}.

فسجدت خوفاء عند قدميه وبنت مذبحاً وقالت:

- "إن سرت فى وادى ظل الموت فلا أخاف شراً لأنك أنت معى".

ابتسم لها رئيس الرعاة معزياً إياها قائلاً:

³⁰ رو ٣ : ٤

³¹ مز ٢٣

³² مزر ٩١

- ياخوافة لاتتركى خيالك يلعب بك ويرسم لك أخطاراً غير موجودة وأحذرك بأن أعداءك كامنون لك خلف الأشجار... فإذا تركت جبان يصور لك مخاوف فستصيرين فى رعب شديد. ثم أخذ حجرة أخرى وأعطاهما إياها لتحتفظ بها ثم باركهن ودعهن ليسرن فى طريقهن.
- بعد لحظات وجدن "شفقة على النفس" يطل من خلف شجرة ويصرخ "ماهذا ياخوافة?... ما هذا الذى يفعله بك وأنت ضعيفة?... يجعلك تسيرين فى طريق لا يسلكه إلا الرجال الأبطال!؟".
- بعده قال "ندم" وكأن الأرض انشقت عنه: ثم أنه لم يكن هناك داع أن يجعلك تسيرين فى هذا الطريق الخطر الذى يليق بالشهداء مع أنه يوجد طرق سهلة كثيرة... قولى له أنك لن تسيري فى هذا الطريق الصعب".
- بعدهما قال "جبان" متهمكاً: "ألعلك تظنين نفسك بطلة صغيرة?... أنك حقاً لجنونة".
- انبرى بعدهم "مرارة" قائلاً: "تماماً كما قلت لك كلما انتهيت من مرحلة صعبة قادتك إلى طريق أصعب".
- أخيراً تكلم كبرياء رغم أنه كان لايزال يقاسى من أثر السقطة التى نالها على يد رئيس الرعاة "أنت تعرفين أنه لن يهدأ حتى يذلك ويهينك لأن هذا ما يسميه بالتواضع... إنه سيدلك حتى التراب ياخوافة". وبعد مدة عندما رأى الأعداء أنها لا تتأثر بكلامهم فارقوها إلى حين".
- فى البداية لم تكن الغابة موحشة ومرعبة كما يبدو من اسمها... ربما كان ذلك بسبب الهواء النقى وبعض من أشعة الشمس التى تسربت من خلال فروع الأشجار ولكن هذا لم يدم طويلاً فلم يمض وقت طويل حتى غطت السحب السوداء الكثيفة وجه الشمس وظهر برق يشق عنان السماء وتبعه آخر ثم رعد مدوى وهطلت الأمطار وارتجت الغابة تحت وطأة العاصفة.
- أما الغريب حقاً فهو أن خوافة لم تكن تشعر بأى نوع من الخوف بل أخذت تردد فى نفسها "يسقط عن يسارك ألوف وعن يمينك ربوات أما أنت فلا يقترب إليك الشر". وبعد فترة بدأت العاصفة تهدأ ورأوا جبان يجرى ناحيتهم ويصيح بأعلى صوته "ارجعوا من الطريق الذى أتيتم منه فإن العاصفة القادمة ستكون أسوأ".
- وعلى غير توقع قالت خوافة لرفيقتها: "افعلا مثلى فإن لم أعد احتمل هذه الجبان" ثم انحنت وأخذت حجارة من الأرض وبدأت ترشق بها جبان فضحكت رفيقتها لأول مرة وفعلمن مثلها فظهر أعداءها الخمسة من خلف الأشجار التى كانوا يختبئون وراءها وأخذوا يفروا هاربين.
- أكملت خوافة ورفيقتها سيرهم حتى وجدن كوخاً صغيراً مبنياً فى وسط الغابة فذهبن تجاهه ووجدن علامة رئيس الرعاة مرسومة على الباب ففرحن جداً ودخلن ليسترحن. وفيما هم جالسات فى هدوء بدأت العاصفة وبصورة أشد وأخطر حتى أن الكوخ كان يهتز وفكرت خوافة فى نفسها: "إن التواجد تحت سقف هذا الكوخ يبعث فى نفسى

سلاماً لا أتوقعة رغم شدة الأخطار من العاصفة في الخارج... إن هذا من أكثر اللحظات المملوءة سلاماً منذ بدأت رحلتى حقاً إن الساكن في ستر العلى في ظل إله السماء يبيت".

وخلال تلك الأيام التي أمضيها في الكوخ شعرت خوافة أنها تحب أشجان وآلام كما لو كانتا صديقتين عزيزتين عليها. وذات يوم وجدت آلام تنشد هذا النشيد: "ما أجمل رجلك بالنعلين يابنت الكريم... من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها... من هي المشرقة مثل الصبح جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية"³³.

- خوافة: "ما أجمل هذا النشيد ياآلام. أرجوك علميني إياه... إنه يذكرني بالوعد بأن تكون رجلى كالإيل". كررت آلام النشيد عدة مرات حتى حفظته خوافة عن ظهر قلب وأخذت تترده طوال الوقت.

³³ مقتطفات من سفر نشيد الأناشيد

١٠

فى الضباب

"ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر"

رو ٨ : ٢٥

[الفهرس](#)

بعد عدة أيام هدأت العاصفة وحن الوقت لاستكمال الرحلة ولكن رغم ذلك استمر وجود ضباب كثيف جداً يحيط بكل شئ فلم يرين سوى جذوع الأشجار التي بجانبهن واستمر هذا الحال عدة أيام حتى نفذ صبر خوافة وقالت:

- "ياه ألن يتغيّر هذا الجو المُقبض؟".

وهنا سمعت صوتاً كانت تعرفه جيداً هو صوت ندم:

- "لا لن يتغير بل سوف يزداد سوءاً. ثم ألم تلحظي أن الطريق لا يصعد إلى أعلى... إنك تطوفين حول الجبل لأنك ظللت الطريق الصحيح".

فكرت خوافة في نفسها أن كلام ندم صحيح وقالت لرفيقتها "هل تظنان أننا ضللنا الطريق بسبب الضباب؟".

- أحابثاها باقتضاب: "لا تسمعي لصوت ندم".

وهنا جاء صوت مرارة قائلاً:

- على الأقل ارجعي مسافة بسيطة لترى إن كنت ظللت الطريق أم لا بدلاً من أن تسيري مسافة طويلة في طريق خاطئ".

- خوافة: "أظن أنه يجب أن نسمع لنصيحته هذه المرة".

- أشجان: "إذا كنا في الحقيقة نطوف في دائرة فسوف نرى الطريق الصحيح في الدورة القادمة".

- همست الشفقة على النفس: "يامسكينة ياخوافة إنك تضيعين وقتك يوماً بعد يوم بلا فائدة".

وهكذا استمرت همساتهم وإيحاءاتهم تملأ الجو حول خوافة ورغم أنها كانت تعرف أنهم يكذبون إلا أن ذلك لم يمنعها من التعثر المتكرر. وأخيراً قررت أن تنشيد النشيد الذي علمته إياها آلام حتى لا تسمع همسات أعدائها. وما أن انتهت حتى سمعت صوتاً يهتف بفرح: "أين تعلمت هذا النشيد ياخوافة؟".

لم تتمالك خوافة نفسها من الفرح عندما رأت رئيس الرعاة قادماً نحوهم فأخذت تجرى لتقابلته وانقعش الضباب فجأة وأشرق الشمس.

- رئيس الرعاة: "أخبريني ياخوافة أين تعلمت هذا النشيد؟".

- خوافة: "آلام علمتني إياه".

- رئيس الرعاة: "إنه جميل جداً ولذلك سأضيف على بعض الأبيات "دوائر فخذيك مثل الحلوى صنعته يدي صناع. لقد شبهتكم يا حبيبتى بفرس في مركبات فرعون ما أجملكم وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات كلك جميل يا حبيبتى ليس فيك عيب"^{٣٤}
- لقد كنت أسير وراءك طوال هذه الفترة وسعدت لأنى وجدتك تُشدنين".
- احمر وجه خوافة خجلاً لأنها أدركت أنه كان يرى تعثرها وضعفها ونظرت إليه باستعطاف.
- رئيس الرعاة: "ياخوافة ألم تدركى بعد إننى كلما نظرت إلى ضعفك وتعثرى فى الطريق الصعب أتطلع إلى اليوم الذى ستكونين فيه على المرتفعات بلا عيب... إننى أريدك أن تتعلمى الجزء الذى أضفته لك فى النشيد".
- خوافة: "نعم يجب أن أنشد لهذا الصانع الماهر الذى يتعب معى كثيراً".
- رئيس الرعاة: "هل كنت تعتقدين أننى كنت سأتركك تضلين الطريق دونه أن أنبهك وأحذرك؟؟".
- خوافة: "لقد كانوا يصرخون فى وجهى وكدت أصدقهم".
- رئيس الرعاة: "انصحك بترديد الأناشيد التى تعرفينها فهذا يصم أذنيك عن وشايتهم... بالمناسبة هل تجدين أشجان وآلام رفيقتين جيدتين؟".
- خوافة: "نعم!! لم أكن أتخيل أننى سأحبها ولكن هذا ما حدث... فلولا وجودهما معى لما استطعت الوصول إلى هنا".
- رئيس الرعاة بنبرة جادة: "خوافة هل تحبيننى لدرجة الثقة بى تماماً؟".
- أدركت خوافة بأنه يعدها لمرحلة صعبة أخرى قادمة فأجابت بصوت منخفض:
- "أنت تعلم أننى أحبك على قدر طاقة قلبى الصغير كما تعلم أننى أثق بك وأتمنى أن أحبك وأثق بك أكثر وأكثر".
- رئيس الرعاة: "وهل تظلين واثقة حتى لو قال لك العالم كله أننى خدعتك وقد كنت أخدعك طوال رحلتك؟".
- نظرت إليه بتعجب وقالت: "نعم أثق بك لأنى أعلم أنك لا تخدعنى... إننى أخاف كثيراً ولكن فى داخلى أعرف حبك الكثير لى يراعى... فإن يمينك تعضدنى ولطفك يعظمنى"^{٣٥}. لم يرد رئيس الرعاة وسكت لبرهة ونظر بحب وشفقة ثم قال بهدوء "شديد":

34 مقتطفات من سفر نشيد الأناشيد

- "إفترضى ياخوافة أننى أهدعك بالفعل... ماذا ستفعلين؟!".
- سرت برودة ورعشة فى كيان خوافة... هل يمكن أن يكون هذا صحيح؟ هل ستحبه بعد هذا؟ هل ستعيش بدونه؟ هل ستفقده؟ وهنا انفجرت فى البكاء ثم رفعت وجهها وقالت:
- ياسيدى إن أردت أن تخدعنى فليكن... لأنه من مثلك أنت الذى أريتنى ضيقات كثيرة وردية... تعود فتحيينى ومن أعماق الأرض تعود فتصعدن... تزيد عظمتى وترجع فتعزينى^{٣٦}".
- وضع رئيس الرعاة يده على رأسها بحنان ورفق لم تشعر به خوافة من قبل ثم انصرف بدون كلمة واحدة. فأخذت خوافة من الأرض حيث كان واقفاً زلطة باردة جداً ووضعها مع الباقي وذهبت لتستكمل الرحلة مع رفيقتها.

³⁵ مز ١٨ : ٣٥

³⁶ مز ٧١ : ٢٠ ، ٢١

١١

وادي الخسارة

"لكن ما كان لي ربجاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة"

في ٣ : ٧

[الفهرس](#)

بعد مدة قليلة ولصدمتهم الشديدة وجدن الطريق ينحدر إلى أسفل إلى سفح الجبل... تماماً كما حدث في بداية الرحلة عندما انحدر إلى أرض مصر.

توقفت الثلاثة ونظرن بعضهن إلى بعض ثم إلى الوادى ووجدن أنه في الناحية الأخرى جبلاً أعلى من جبل التجريح.

في تلك اللحظة اختبرت خوافة أشد وأفظع ألم عرفته طوال الرحلة... لقد كن على وشك الوصول للمرتفعات ولكن الآن يجب عليها أن تنزل وكأنها تبدأ رحلتها من جديد... وكأن كل تجاربها ضاعت هباءً وتعبها ذهب أدراج الرياح.

تجمد قلب خوافة داخلها وفكرت... كيف تستطيع أن تتبع من يطلب منها كل هذه التضحيات وللحظة سوداء فكرت أن تكف عن إتباع رئيس الرعاة!!!... لم يكن هناك داعٍ... لقد سارت في هذا الطريق لأنها أرادتته ولكنه لم يكن الطريق الذى تُحب أن تسلكه... ربما كان أقارباًؤها على حق... يجب أن تُنهي ألامها وأشجانها في الحال وتكف عن إتباع رئيس الرعاة وتختار طريقها بنفسها وبدونه... هنا صرخت وكأنها رأت الجحيم بعينه ونادت... "إرحمني لأنى ضعيفة إشفنى لأن عظامى قد اضطربت ونفسى قد انزعجت جداً عُذ ونجى نفسى^{٣٧}". وفي اللحظة التالية كانت خوافة تُمسك براعيها وتبكي وتقول "افعل أى شئ... اطلب منى أى شئ... فقط لا تدعنى أتركك... لا تعطنى أى شئ وعدتني به... فقط لا تدعنى أتركك". رفعها رئيس الرعاة من على الأرض وحيث كانت تُمسك بقدميه ومسح دموعها بيده وقال لها بصوته الحنون القوى:

- لا تخافى... حتى ذاتك لا تستطيع أن تأخذك منى.. دعوتك بإسمك أنت لى^{٣٨}.

هوذا على كفى نقشتك^{٣٩}... ألم تتعلمى الدرس حتى الآن... هذا التأجيل ليس للموت بل ليتمجد اسم الله... ما أنا فاعله الآن لست تفهمينه لكنك ستفهمينه فيما بعد^{٤٠}. خرافى تسمع صوتى وتتبعنى... إنها إرادتى أن تنزلى إلى هذا الوادى الآن ولكِ وعد جديد منى وهو [أذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة هذه هى الطريق اسلكى فيها حينما تميلين إلى اليمين وحينما تميلين إلى اليسار^{٤١}...]. والآن ياخوافة هل تتخلين عن كل ما أحرزتيه حتى الآن فى هذه الرحلة وتقبلين النزول لوادى الخسارة فقط لأن فى هذا إرادتى؟".

³⁷ مز ٦ : ٢ - ٤

³⁸ أش ٤٣ : ١

³⁹ أش ٤٩ : ١٦

⁴⁰ أنظر يو ١٣ : ٧

⁴¹ أش ٣٠ : ٢١

كانت لاتزال مستندة على ذراع رئيس الرعاة وقالت من كل قلبها كلمات قالتها سيدة أخرى من قبل.. "لأنه حيثما ذهبت أذهب وحيثما بت أبيت شعبك شعبي وإلهك إلهي حيثما مت أموت وهناك أندفن هكذا يفعل بي الرب وهكذا يزيد إنما الموت يفصل بيني وبينك"^{٤٢}.

وهكذا بُني مذبحاً آخر على قمة وادي الخسارة وزاد عدد الحجارة في كيس خوافة واحدة وفي طريق النزول بدأت أشجان وآلام نشيداً جميلاً قائلتين:

- "أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء أين توجه حبيبك فنطلبه معك؟".
- وردت خوافة: "حبيبي نزل إلى جنته إلى هائل الطيب ليري في الجنات ويجمع السوسن أنا لحبيبي وحبيبي لي الراعي بين السوسن".
- أخيراً أحاجن رئيس الرعاة: "أنت جميلة يا حبيبتى كترصة حسنة كأورشليم مرهبة كجيش بألوية. حولي عنى عينيك فإنهما قد غلبتاني"^{٤٣}.

ورغم شدة انحراف الطريق فإنه بدا سهلاً لأن خوافة أرادت أن تُنفذ إرادة رئيس الرعاة بكل طاقتها لتُفرحه... لقد أدركت ان في قلبها اشتياق ليس للأشياء التي يعطيها إياها رئيس الرعاة ولكن اشتياق وحب لشخصه هو فقط وليس سواه. لا شيء يهم سوى حبه حتى في الآلام والأحزان والخسارة لأن الوجود في حبه والعدم في غيابه. وهكذا وصلن إلى الوادي بسرعة ووجدته خوافة مكاناً جميلاً جداً وكأنه حديقة كبيرة بديعة مملوءة سلاماً وهدوءاً يبعث في النفس أماناً وطمأنينة".

وأثناء سيرهن فيها كن ينشدن: "تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى لنبكرن إلى الكروم... لننظر هل أزهر الكرم... هل تفتح الفعّال هل نور الرمان... هناك أعطيك حبي اللقاح يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتما لك يا حبيبي"^{٤٤}.

أما أكثر شيء كان يفرح خوافة فهو وجود رئيس الرعاة بجانبها معظم الوقت. وذات يوم قال لها: "أنا سعيد بأنك تستمتعين بوجودك هنا. إن المذبح الذي بنيتك ساعدك كثيراً في تقبل وجودك في وادي الخسارة". قال هذا ونظر إليها نظرة كانت خليط من الرأفة والإصرار... فقالت خوافة في نفسها:

⁴² را ١٦: ١٧

⁴³ نش ٦: ٤، ٥

⁴⁴ نش ٧: ١١ - ١٣

- "ترى ماذا سيفعل بي بعد كل هذا... إنه لن يترك في نفسى أى ضعف أو نقص.. هل سأحتمل ما سيفعله بي!!!؟" ... تفكرت في هذا لأنها كانت لا تزال... خوافة.

١٢

التجلى

"ها أنا أنظر السماء مفتوحة وابن الإنسان قائم عن يمين الله. وإذ قال هذا
رقد"

أع ٧ : ٥٦ ، ٦٢

[الفهرس](#)

أما ما فعله رئيس الرعاة بعد ذلك فقد كان شيئاً رائعاً. إذ بعد مدة قليلة من الحديث الذى دار بينه وبين خوافة أتين إلى نهاية الطريق الذى عبر بهم وادى الخسارة حتى سفح جبل أعلى وأعتى من جبل التجريح... ووجدن رئيس الرعاة يقف بجانب مركبة معلقة تربط بين سفح الجبل وقمته. كانت خوافة على وشك الاعتراض من الخوف ولكن رئيس الرعاة قل لها: "هيا ياخوافة اركبى وسأركب بجانبك ونصل إلى المكان الذى أريده بدون أى تعب أو مجهود" وعندما وصلوا لقممة الجبل نزلت خوافة من المركبة لتجد نفسها فى مكان من أجمل الأماكن التى مرت بها... صحيح لم تكن قد وصلت بعد إلى مملكة الحب ولكن هذه هى الحدود مكثوا عدة أيام فى هذا المكان الرائع ليستريحوا من عناء الرحلة... وفى بعض الأحيان كان الضباب الذى يحيط بالمرتفعات كستارة خفيفة ينقشع فيبصرون المرتفعات لفترة قصيرة، لكنها كانت كافية ليتأكدوا من وجودها.

وفى آخر يوم لهم فى هذا المكان أخذ رئيس الرعاة خوافة إلى مكان مرتفع وتجلى أمامها بصورته الملكية فتأكدت خوافة أن رئيس الرعاة هو نفسه ملك المحبة فسجدت له... عندئذ مد يده ورفعها ثم قادها إلى حيث يوجد مذبح ذهبى لم تقدر خوافة على النظر إليه لأن أشعة الشمس كانت تنعكس عليه متوهجة... وهنا أخذ ملك المحبة قطعة جمر ومس بها شفقتى خوافة قائلاً: "إن هذه قد مست شفقتك فانترع إثمك وكُفِّر عن خطيتك"^{٤٥}.

ثم أخذها رئيس الرعاة وأراها مملكة الحب من بعيد قائلاً:

- "لقد أريتك لحة من الملكة التى سأخذك إليها. فى الغد تبدأين أنت ورفيقتك آخر مرحلة فى الطريق ثم أضاف برقة بالغة: "لك قوة يسيرة وقد حفظت كلمتى ولم تنكرى إسمى هأنذا أجعل الذين من مجمع الشيطان يأتون ويسجدون أمام رجلك ويعرفون إننى أنا أحببتك... تمسكى بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك. من يغلب فسأجعله عموداً فى هيكل إلهى ولا يعود يخرج إلى خارج وأكتب عليه إسم إلهى وإسمى الجديد"^{٤٦}.

استجمعت خوافة شجاعته وسألت: "هل آن الأوان لتكلم وعدك؟ هل الوقت قريب".

- رئيس الرعاة: "نعم ياخوافة... قريب جداً... تشجعى وافرحى لأننى سأعطيك اشتياق قلبك".

ثم بعد هذا أتوا إلى حيث أشجان وآلام فباركهن رئيس الرعاة وصرههم. ولكن أشجان وآلام سجدتا وقالتا: "ما اسم هذا المكان الذى نحن فيه الآن؟".

⁴⁵ اش ٦ : ٧

⁴⁶ رؤ ٣ : ٨ - ١٢

- أجاهن بصوت منخفض وهادئ: "إلى هذا المكان أُحضر أحبائي لتطييبهم استعداداً لدفنهم". لم تسمع خوافة هذا الكلام لأنها سبقت في الطريق بسبب فرحتها الشديدة وكانت تقول لنفسها "لقد قال لي تشجعي وافرحي لأنني سأعطيك اشتياق قلبك".

١٣

أرض المرييا

"فإننى أنا الآن أسكب سكباً وقت إنحلالى قد حضر"

٢ تى ٤ : ٦

[الفهرس](#)

سرن عدة أيام حتى وصلن إلى بيت خشبي مبني على هيئة فُلك فدخلن فيه ليسترحن وتناولن خبزاً وكأساً من عصير الكرمة من على المائدة التي هيأها لها أحد الشيوخ من خدام رئيس الرعاة.

وتلك الليلة استيقظت خوافة فجأة على صوت يناديها:

- "خوافة".

- "هأنذا".

- الصوت: "خوافة خذى ذاتك التي تحبينها وحياتك الأرضية - واذهي إلى المكان الذي أرشدك إياه - وقدميها هناك محرقة".

- خوافة: "ربي هل تقصد هذا فعلاً؟".

- "نعم ياخوافة وهلمى لأريك الموضوع الذي سوف تقدمي فيه الذبيحة".

قامت خوافة بمدوء حتى لا توقظ أشجان وآلام وذهبت إلى الباب وعندئذ وكأن نافذة قد انفتحت في الضباب وأضاء من خلالها القمر ورأت بداية شلالات المياه التي تنحدر على كل الجبال وتسقى كل الوديان بما فيها وادي المذلة وجاءها الصوت ثانية:

- "هذا هو المكان الذي سوف تقدمين فيه ذبيحتك ياخوافة".

- خوافة: "هوذا أنا أمة الرب ليكن لي كقولك".

بكرت خوافة صباحاً وأخذت رفيقتها معها وقامت لتذهب إلى الموضوع الذي أعلمت به.

في اليوم التالي وجدن ينبوع ماء صغير وسمعت خوافة الصوت يقول لها: "اشربي من هذا الماء لتتقوى" فانخنت خوافة لتشرب وعندما ذوقت الماء صرخت قائلة: "إن هذا الماء مر جداً". إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك^{٤٧}".

فسمعت الصوت قائلاً: "هناك شجرة تنمو بقرب الينبوع... اكسرى منها فرع والقيه في الماء مارة^{٤٨}".

نظرت فوجدت شجرة شوك رفيعة في كل ناحية منها ينمو فرع واحد... تماماً كذراعى صليب. قطعت جزء من الشجرة وعندما طرحته في الماء صار الماء عذباً فشربت وانتعشت واستعادت قواها... ومن جانب الينبوع أخذت الحجرة الثانية عشر.

⁴⁷ لو ٢٢ : ٤٢

⁴⁸ خر ١٥ : ٢٣ - ٢٥

وفي اليوم الثالث رفعت خوافة عينيها وأبصرت الموضع من بعيد^{٤٩}... وفي منتصف النهار نحو وقت الظهيرة وصلن للمكان المحدد لتقديم الذبيحة.

⁴⁹ تك ٢٢ : ٤

١٤

قبر على جبل

"لأعرفة وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته"

في ٣ : ١٠

[الفهرس](#)

فجأة وجدن أنفسهن عند حافة هوة عميقة تقطع عليهن الطريق لمواصلة الرحلة كان الضباب كثيفاً لدرجة أنهن لم يستطعن أن يتأكدن من عمق الهوة ولا حتى الحافة المقابلة لهن وبدت الهوة وكأنها قبر لا حد له يفتح فاه ليلتلعهن.

- خوافة: "ماذا سنفعل الآن؟ هل نقفز للناحية الأخرى؟".

- أشجان وآلام: "لا... إن هذا مستحيلاً يجب أن نقفز في الهوة".

- خوافة: "لم أكن أدرك هذا... ولكن هذه هي الخطوة الصحيحة". ومدت يديها لرفيقتيها لتساعداها على القفز ولكنهما عندما تحققتا من ضعفها الشديد وإرهاقها الواضح حملها فيما بينهما ثم قفزا بها في الهوة... نظراً لقوة أشجان وآلام فقد تمكنتا من القفز والهبوط دون أن يسبب ذلك أى ألم لخوافة.

عندما نظرن حولهن لم يستطعن أن يرين شيئاً بوضوح سوى مذبح حجري وبجانبه وقف شخص غير واضح الهيئة.

- خوافة: "هذا هو المكان المعين لتقديم الذبيحة". ثم ركعت عند المذبح وقالت: "يا سيدي هل تساعدني الآن لأقدم الذبيحة التي أمرتني بها؟".

ولأول مرة لم تكن هناك أى اجابة وتذكرت ما قاله مرارة ذات يوم: "في يوم ما سيضعك على صليب ويتركك تعاني وحدك".

بيدوا أن مرارة كان على حق ولكنها لم تعد تهتم بأى شئ سوى أن تتم مشيئة من تُحب مهما كان الثمن. وهكذا ظلت راکعة ومنتظرة... كانت تعلم أنه لن ينادى عليها ملاك ليأمرها بعدم تقديم الذبيحة ولكن هذا لم يخفها إذ كانت قد ثبتت وجهها لتنفيذ إرادة من تُحب.

وبعدما انتظرت فترة ولم يحضر رئيس الرعاة حاولت أن تنزع ذاتها ولكن عند اللمسة الأولى شعرت وكأن ألماً حاداً سرى في جسدها وأدركت أنها لن تقدر على تقديم الذبيحة بنفسها.

وهناك تحرك الشخص الواقف وراء المذبح وقال: "إذا أردت فسأساعدك".

- خوافة: "شكراً لك... من فضلك ساعدني... ولكني جبانة جداً وربما يؤدي الألم الذي سأشعر به إلى مقاومتك... فأرجو أن تقيدني على المذبح حتى لا أوجد مقاومة لمشيئة سيدي وهي تتم في".

ساد الصمت برهة وأجابها "حسناً قلت... سأربطك".

وأخذ ذراعيها وفتحها ثم ربطهما وقيد رجليها فوق بعض وعندما انتهى نظرت خوافة إلى أعلى نحو المرتفعات التي لا تراها وقالت: "ها أنا ياسيدي في المكان الذي أرسلتني إليه أفعل ما أمرتني به... حيثما أموت وهناك أدفن".

ساد المكان صمت رهيب... صمت القبور... لأن خوافة فعلاً كانت في قبر آمالها... لم تأخذ شيئاً من الوعد... ولم تصل إلى المرتفعات ولكنها رددت الوعد الذي بسببه قامت بهذه الرحلة "الرب السيد قوتي ويجعل قدمي كالأيل ويمشيني على المرتفعات"^{٥١}.

عند هذا مد الكاهن يده وانتزع الحب من قلبها واخرجه بكل جذورة ثم طرحه على المذبح وجاءت نار والتهمته ولم يبق منه شئ سوى رماد... تملك سلام عميق على قلب خوافة وعندما كان الكاهن يفك قيودها حانت منها التفاته ورأت والدته رئيس الرعاة الحنونة - تلك التي كانت تطلب منها في غروب كل يوم من أيام عمرها لتكون بجانبها في تلك الساعة - وعندما رأتها خوافة ابتسمت وأمالت رأسها وراحت في نوم عميق.

وفى الصباح السرور

أخيراً على المرتفعات

"لأننا نعلم أنه إن نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله
بيت السموات بناء من الله. بيت غير مصنوع بيد. أبدى"

٢ كو ٥ : ١

[الفهرس](#)

عندما استيقظت خوافة كانت الشمس تتوسط كبد السماء. نظرت خارج الكهف الذى وجدت نفسها ملقاه فيه وحاولت أن تسترجع ما حدث لها. كان المكان مملوء برائحة المر والطيب وأدركت أن الثياب المصنوعة من الكتان الأبيض^{٥٢} النقى التى تلبسها هى المصدر... وهنا تذكرت ما حدث فنظرت إلى قلبها وأزاحت الضمادة... ولدهشتها لم تكن هناك أى آثار للجراح أو الآلام فى قلبها أو أى مكان آخر فى كيانها.

قامت بمهوء وخرجت خارج الكهف الذى كان منحوتاً فى صخرة كانت فى الهوة التى قدمت فيها ذبيحتها. كان المكان مضاء بنور باهر فبدأ محتلفاً عما كان وسط الضبابا الكثيف ورأت الزهور الجميلة تحيط بالمذبح والخضرة إنها وجدت منبع النهر^{٥٣} يبدأ من تحت المذبح... قفز قلبها من الفرحة وملاً السلام العميق كيانها كله. لم يكن هناك أى أثر لرفيقتيها أشجان وآلام. كانت وحدها مع الطيور المغردة والفرشات الملونة وهى تنتقل فرحة من غصن إلى غصن ومن زهرة إلى أخرى.

أخذت خوافة بعض الوقت لتتمكن من استيعاب الجو المحيط بها... ثم قامت وتقدمت نحو النهر وكأنه يجذبها إليه. وانحنت لتأخذ فى كفها بعض الماء وعندما لمستته بدا وكأن كيانها قد سرت فيه تيارات من البهجة والسعادة مختلطة بشجاعة غامرة فدلقت إلى النهر وأحست بفرح وغبطه لم تعهدها من قبل وكأن المياه قد بعثت فى نفسها نبضات الحياة.

وعندما صعدت من الماء شعرت أنه لم يعد فيها أى نقص من أى نوع وبسرعة حوّلت نظرها إلى قدميها لتكتشف أنهما بلا عيب وأيقنت أن هذا هو النهر الذى لشفاء الأمم الذى تكلم عنه رئيس الرعاة فى بداية رحلتها. جرت نحو النهر لترى وجهها فى المياه... لم تكن تعرف نفسها... لقد اختفى الإعوجاج من فمها وأصبحت رائعة الجمال.

ولبثت قليلاً على هذا الحالة من السعادة ثم شعرت وكأن أحداً يناديها... حقيقة لم تسمع اسمها وحقيقة أيضاً أنها لم تسمع صوتاً ولكنها شعرت به فى قلبها وحاولت الخروج من الهوة ولكن كيف لها هذا والجبال تحيط بها من كل جانب...

تكرر ما حدث يوماً عند جبل التجريح إذ جاء غزال وأيل وتقدماها فى الصعود وكأنهما يرينها الطريق وأين تضع قدميها... ففعلت مثلهما وقفزت صاعدة ورائتهما كأنها مثلهما وماهى إلا لحظات حتى وجدت نفسها تعلى قمة الجبل... وهناك رآته!!... تماماً كما توقعته أن تراه... مملوء مجداً وكرامة وقوة. نادى عليها: "أنت يا ذات أرجل الأيل

⁵² مت ٢٧ : ٥٩

⁵³ رؤ ٢٢ : ١

— تعال هنا" وجرت نحوه وسجدت أمامه... كان تاج ملوكى على رأسه ومتسربلاً بثوب إلى الرجلين وتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب^{٥٤}.

"أخيراً جئت وانقضى ليل البكاء وحل صباح السرور قال لها هذا وأقامها من سجودها وأكمل "لقد حان وقت تميم الوعد... وأكتب عليها اسمى الجديد واسم إلهى^{٥٥}... الرب يعطى مجداً ونعمة ولا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال^{٥٦}... وهذا هو اسمك الجديد من الآن فصاعد تدعين "نعمة"... لنرى الآن هل أزهر الحب فى قلبك؟! والوعد بأن تُحى عندما تزهر"^{٥٧}.

تكلمت نعمة لأول مرة منذ جاءت إلى هذا المكان: "لا يوجد فى قلبى نبتة الحب مطلقاً لقد اقتلعها الكاهن من قلبى أثناء تقديم الذبيحة".

الملك: "لا يوجد زهرة الحب؟! كيف؟ وأنت على المرتفعات ولا أحد يدخل هنا بدونها... هيا افتحى قلبك لتتحقق مما تقولين".

وعندما فعلت ذلك انبعث منها رائحة ذكية وامتلاً المكان برائحة الطيب وهناك داخل قلبها وجدا نبات يلفه ويغطيه زهر أبيض صغير وجميل.

— نعمة: "كيف جاءت هذه الزهور إلى قلبى ياملكى؟!".

— الملك بابتسامة: "لقد زرعتها بنفسى!! ألا تتذكرى يوم وعدتني بأن تصعدى معى للمرتفعات؟ يومها زرعت فى قلبك شوكة... إنها بذرة هذا النبات".

— نعمة: "إذن ماهو النبات الذى اقتلعه الكاهن عند المذبح؟".

— الملك: "يوم زرعت لك زهرة الحب فى قلبك لم تجدى محبتي فيه إطلاقاً... فقط وجدت حباً بشرياً أليس كذلك؟... وقد اقتلعته عندما حان الوقت وأصبح غير ثابت فى قلبك كى نعطي مكاناً للمحبة الإلهية".

— رددت نعمة ببطء: "أنت اقتلعته من قلبى ياملكى... هل كنت أنت الكاهن عند المذبح؟... أنا ظننت أنك تخليت عنى".

هز رأسه بالإيجاب وسجدت نعمة والدموع تسيل من عينيها وقبّلت يده... تلك اليد المرحوحة من أثر الشوك والذى اقتلعت من قلبها كل آثار المحبة الغريبة عنه التى كانت سبباً فى شقائها.

⁵⁴ رؤ ١ : ١٣

⁵⁵ رؤ ٣ : ١٢

⁵⁶ مز ٨٤ : ١١

مد يده التي كانت تقبلها ومسح كل دمعة من عينيها^{٥٧} وقال:

- "حان الوقت وآن الأوان لإكمال الوعد" ثم وضع يده على رأسها وقال: "بمحة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة^{٥٨}".

والآن أعطني الكيس الذى به الحجارة التذكارية التي جمعتها أثناء رحلتك يا نعمة.

أخرجت الكيس وأعطته إياه فأمرها أن تفتح يدها لتلقى محتوياته ويا للدهشة فبدلاً من الحجارة العادية نزلت جواهر متألقة تخطف الأبصار من جمالها!! وقفت نعمة صامتة مذهولة ورأت الملك ممسكاً بتاج وقال: "هأنذا أبني. بالأثمند حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك" ثم أمسك بأكبر جوهرة وهى من اليشب ووضعها فى منتصف التاج وأمسك بالثانية وهى من الياقوت الأزرق ووضعها بجانب الأولى ثم الثالثة وهى من العقيق الأخضر... وهكذا تبّت الإثني عشر جوهرة على التاج ووضعها على رأس نعمة.

رجعت بذكرتها للأيام الماضية وتفكرت فى محبته وحنانه وصبره ورحمته ونعمته التي قادتها ودربتها وحرسها ومنعتها من الخروج عن طريقها وأخيراً حوّلت كل تجاربها وآلامها إلى إكليل مجد أبدى.

وبابتسامة فرحة قال الملك:

- اسمعى يا بنتى وانظرى وأميلي أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك فيشتهى الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدى له. كل مجد إبنه الملك من داخل منسوجة بذهب ملابسها. بملابس مطرزة تُحضر إلى الملك. فى إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك^{٥٩}".

عند هذا تذكرت نعمة رفيقتها أشجان وآلام وكيف كانتا مخلصتين لها طوال الرحلة... فلولا مساعدتهما وصبرهما لما تمكنت من الصعود إلى المرتفعات!! تمت لو كانت معها الآن ففرحا لفرحتها كما تألمتا وتعبتا معها ودافعتا عنها فى مواجهة أعدائها... فتحت فمها لتطلب طلبة من ملكها... كانت تريد رفيقتها المخلصتين ولكن قبل أن تنبس بنت شفة قال لها الملك: "هاتان هما رفيقتاك يا نعمة". حينئذ تقدمتا سيدتان تلبسان ثياباً بيضاء ناصعة تشع ضوءاً براقاً وعلى وجهيهما بشاشة وفى عينيهما حب بادى.

تقدمت إليهما نعمة لكنهما لم تتكلما قط.

- نعمة: "من أنتما؟ وما اسمكما؟".

⁵⁷ رؤ ٢١ : ٤

⁵⁸ أش ٥٤ : ١١

⁵⁹ مز ٤٥ : ١٠ - ١٥

ولكن بدلاً من أن تردا عليها نظرنا بعضهما البعض وابتسما ثم مدتا أيديهما لنعمة لتأخذا يديها. وعند هذا الحركة المألوفة لديها صرخت نعمة: "أشجان... آلام أهلاً بكما... لقد اشتقت إليكما كثيراً".

- "لالا.. لن نعد أشجان وآلام كما لم تعودى أنت خوافة... ألا تعرفين أن كل شئ يتغير في المرتفعات... لذلك حينما أصعدتنا إلى هنا أصبحنا فرحة وسلام".

- نعمة: "أصعدتكما إلى هنا!!! منذ البداية إلى النهاية وعبء الرحلة كله واقع عليكم... لقد دفعتماني دفعاً حتى وصلت".

- فرحة وسلام: "لا لم يكن ممكناً أن نصعد وحدنا إلى هنا... أشجان وآلام لا يمكنهما الدخول لمملكة الحب... ولكن في كل مرة قبلتنا برضى ووضع يديك في أيدينا كنا نتحول رويداً رويداً. لو كنت رفضتينا لما تمكنا من الوصول إلى هنا". نظرنا لبعضهما وضحكنا وأكملنا. "عندما رأيناك أول مرة عند سفح الجبال شعرنا أننا لن نتمكن من الوصول... فلقد كنت خائفة منا جداً وقلنا في أنفسنا أن واحدة منا لن تصل إلى المرتفعات وسنظل أشجان وآلام وخوافة ولكن انظري إلى نعمة ملك المحبة وكيف ساعدنا ودبر لنا حتى وصلنا إلى هنا والآن سنكون صديقتك للأبد".

وعندما قالتا هذا انضم ثلاثهم وأخذن يقبلن بعضهن بعضاً ويرتمين في أحضان بعضهن شاكرات عناية ملكهن بهن.

مضت الأيام ونعمة تعيش في سعادة كاملة لا يعكر صفوها شئ تتبع الملك حيثما ذهب وتتعلم أشياء وحقائق جديدة لم تعرفها - وذات يوم جلس الملك معها وسألها:

- "يانعمة... هل تدرين كيف جعلت رجلك كالإبل واقمتك على المرتفعات؟".

أثار هذا السؤال إنتباهها ودنت منه قائلة:

- كيف ياملكى وسيدى؟

- أجابها: "فكرى في رحلتك وأخبريني عن الدروس التي تعلمتها أثناء صعودك".

صممت نعمة ومرت بذاكرتها كل الأحداث منذ قررت أن تتبعه والصعاب التي قابلتها والتي بدا اجتيازها من المستحيل. فكرت في المخاوف التي أحاطت بها وفي الحرب التي شنها عليها أعداؤها... وأيضاً في السلام الذى أحاط بها في أحلك الظروف وهكذا جلست لوقت طويل تسترجع وتتأمل شاكرة وأخيراً قالت:

- "سأخبرك ياملكى".

- أحاب بحنان: "أنا مصغى إليك يانعمة".

- نعمة: "لقد تعلمت كثيراً... تعلمت أن أقبل بفرح وشكر كل ماتسمح بحدوثه لي أثناء رحلتي أنه لا يجب أن أتجنبها بل أن أضع ذاتي وأقدم إرادتي ذبيحة وأقول [هوذا أنا عبدتك مطيعة]."
- هز رأسه موافقاً: "وتعلمت أيضاً أن أحتمل كل مايفعله بي الآخرون وأغفر لهم وأقول "هوذا أنا عبدتك سماح" حتى يخرج من الجاني حلاوة".
- هز رأسه ثانية فابتسمت بفرح وقالت:
- "والدرس الثالث الذى تعلمته هو أنك ياسيدى لم تكن تنظر إلى كما كنت أبدأ... عرجاء وضعيفة وخوافة... بل نظرت إلى كما سوف أكون مستقبلاً بعد أن تغيرنى".
- نظر إليها الملك بعطف ولكنه لم يتكلم ليشجعها أن تكمل حديثها.
- "أما الدرس الرابع فهو فى الحقيقة يُعتبر أول درس تعلمته فى المرتفعات... هو ان كل ظروف الحياة مهما بدت قاسية وصعبة لو قوبلت بحب وتسامح وطاعة لإرادتك سوف تحوّلها لخيرنا... لذلك أعتقد ياسيدى أنك تسمح لنا بأن نتقابل مع الشر والقساوة وتسمح بأن يتواجد فى العالم العذاب والآلام والأحزان لأن هذه إن سلكننا تجاهها كإرادتك وتعاليمك فسوف تخلق فينا فضائل للأبدية. وهذه هى الطريقة المثلى للتعامل مع الشر... ليس فقط تجنبه أو تقييده ولكن تحويله للخير إن أمكن".
- رد الملك بسرور واضح وسعادة بالغة: "لقد تعلمت حسناً يانعمة... إن كل هذه الدروس التى تعلمتها هى التى أهلتك للتغيير من خوافة العرجاء إلى نعمة ذات أرجل الإيل. الآن تستطيعين أن تتبعينى أينما ذهبت فلا نفترق أبدأ".
- ثم قام من جلسته وقال: "هيا بنا يانعمة نتحول فى المرتفعات وننشد سوياً نشيداً جديداً:
- "اجعلنى كخاتم على قلبك... كخاتم على ساعدك... لأن المحبة قوية كالموت. مياة كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها. أسرع يا حبيبي وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب"^{٦٠}.
- وكما تعلمون فإن هذه هى آخر أبيات نشيد الأنشاد التى لسليمان الحكيم ولكنها بالنسبة لنعمة فقد كانت بداية لأناشيد جديدة لا يعرفها إلا الذين اشتروا من بين الناس باكورة لله والخروف^{٦١}.

⁶⁰ نش ٨ : ٦ ، ٧ ، ١٤ ،

⁶¹ رؤ ١٤ : ٤

نهدى هذه القصة التي تحكى عن حياة نفس أحبت الرب وكيف قادها عبر الدروب الصعبة حتى بلغت إلى المرتفعات.

... إلى أولئك الذين يعانون من التجارب ولا يعرفون لها سبباً.

... إلى أولئك الذين يصارعون قوات الشر غير المنظورة.

... إلى أولئك الذين يريدون أن يتبعوا الراعى الصالح ولا يعرفون كيف.

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

رحلة إلى المرتفعات (قصة رمزية)

الكتاب

مكتبة كنيسة مارجرس باسبورتنج

الناشر

الأولى يونيو ١٩٩٤

الطبعة